رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

منارات
manarat

العدد (2533) السنة التاسعة - الاربعاء (11) تموز 2012 WWW. almadasupplements.com

فـــرج فـــودة

انهـم يخافـون فـرج فـودة

علي حسين

يخطئ من يظن أن المعركة التي تخوضها اليوم القوى ليبرالية في مصرمع بعض الجماعات المتطرفة هي معركة فرج فودة وحده رغم ان الرجل دفع حياته ثمنا لها، إنها معركة الدولة المدنية في مواجهة الدولة الدينية، معركة بين حب الحياة وبين الازدراء بالحياة، معركة بين المستقبل والماضي، بين السلام والإرهاب، بين الإبداع والتحجر العقلي، بين العقل النقدي والعقل المتعصب،بين التنوير والظلام،،،

باختصار هي معركة حول مستقبل العقل العربي وجاءت مواقف أبو زيد وفرج فودة وحسين مروة ومهدي عامل لتفجرها..إلا أن الأهم في هذه المعركة إنها ليست معركة كلامية وحسب بل هي معركة تفوح رائحة الدم من جوانبها كافة، ليس فقط عبر التكفير والقتل، وإنما هي مقدمة لجولة جديدة أوسع من الإرهاب وتكميم الأفواه على مستوى الوطن العربي كله.. لقد أوقع هؤلاء الظلاميون بلدانها في مأزق كبير حين شحذوا خناجرهم ضد دعاة التنوير الذين يريدون لبلدانهم ان تكون حرة الأفكار والرأي لكن البعض يريد ان يحولها هذه البلدان بعد الربيع العربي الى إمارة من إمارات (طالبان) حيث يسود الجهل والأمية والتخلف. أمراء الظلام ومنظرو دولة طالبان وجدوا قبل عشرون عاما ضالتهم بفرج فودة هذا المفكر الشجاع الذي اضطهده المتطرفون في مصر وطاردوه الى المحاكم، لكنه رفض ان يتاجر بقضيته.. المفكر الشجاع الذي تحدى الصعاب وسار على درب المفكرين العظام وهو مثال في الثبات على المبدأ لم تثنه الضغوط والحملات المغرضة واتهامات التكفير الباطلة وأحكام القضاء وزعيق الظلاميين وحملاتهم الشعواء من ان يواصل رسالته المعرفية التي كرس جهده الفكري لها.. فرج فودة الذي ظل حتى اخر يوم من حياته مدافعا عن فكر التنوير العربي ومظهرا تاريخ العقل والتفكير لدى فلاسفة الإسلام أمثال ابن عربي وابن رشد وابن حزم وآخرين.. لم يهتز او يرتعد ولم يتاجر والاهم انه ظل ثابتا على مبادئه.. هو القائل بأعلى صوته: " الحرية هي الضمانة الوحيدة لتطور المجتمعات وصنع التقدم، الصدام، أي صدام، هنا مع السلطة الدينية التي تزعم امتلاك الحقيقة، وهذا موجود في تاريخ كل الأديان. سلطات دينية ترى أن للحقيقة وجهًا واحدًا، وهذا على خلاف التراث العربي الحي الذي نجده في كتابات المعتزلة والأشاعرة والصوفية، هذا التراث يجب أن نربطه بالثقافة الإنسانية المعاصرة مثلما فعل الأسلاف. هذا الربط يهزهم. يهز من يمتلكون الحقيقة، ومن يخافون من الحرية. إنه الخطاب النقدي، هذا الخطاب فعلا يهدد مناصبهم، كلمة النقد عندنا مخيفة، ينطقونها "نقض" التي تساوي هدما، وعموما لا توجد فكرة تموت، سوف تتسرب" أمام هذا الخطاب يزعق دعاة التطرف بخطابات تمهد للإرهاب بحملات إعلامية واسعة تطول إيمان البشر، ثم موجة أوسع من الإرهاب العشوائي لبث الذعر في قلوب الناس. من منا لم يشاهد القنوات العربية وقد ارتدت ملابس الحداد حين أطيح بأكبر دكتاتورية في المنطقة.. ثم أخذت هذه القنوات تذيع البيانات العسكرية وإعلانات الحرب الواردة إليها من جيوش الملثمين وهم يجزون رقاب الأبرياء ويرفعون الرؤوس المقطوعة؟ من منا لم يقرأ الخطابات المتلبسة بالدين وهي تتحدث عن العراق حين ينظرون إليه بعين واحدة لان الأخرى عميت بصيرتها، وحين تتناثر جثث الأبرياء مقطعة الأوصال في شوارع بغداد فان الأمر لا يعني أصحاب هذه الخطابات، لكن يعنيها ان تحشد كل قواها لتغتال مفكرا مسالما بحجم فرج فودة لا لشيء إلا لأنه حاول وتجرأ ان يدرس الدين من منطلق عصري.. تأملوا حال هؤلاء وهم يصرخون في الفضائيات ويطالبون بان لا تطبع أوتوزع كتب هذا المفكر في بلدانهم المعطرة بالمحسوبية وسرقة المال والفساد..مثلما يصرخون كل يوم بمنع الاختلاط، وعدم المساواة انهم يخشون افكار فرج فودة لأنهم محتلون عقليا بالدجل والشعوذة ونقص العلم واللجوء الى الخرافة.. يخافون فرج فودة لان ثقافتهم ترسخ لعدم اعمال العقل وهي ثقافة تدور حول كثير من الموروثات التي انتهت صلاحيتها أنهم يخافون أبو زيد لأنهم يؤمنون بغياب التعددية الفكرية ومحاولة تزييف الوعي لحجب أية فرصة للتفكير وتنشيط العقل.. محتلون تعليميا بمناهج دراسية تميز بين الجنسين وتشيع طريقة التلقين والحفظ ومصادرة السؤال الذي يتصف بالجرأة وتحفيز العقل على التساؤل والتفكير. يخافون فرج فودة لأنهم محتلون بالازدواجية الأخلاقية فهناك أخلاق للفقراء وأخلاق لأصحاب السلطة والمال.. محتلون بالكذب والنفاق والخوف من الجديد.. أنهم يطبقون علينا الأحكام العرفية، فالأفكار الجديدة يدان أصحابها ويحاصرون بفتاوى التكفير.. أنهم يخافون مفكرا بقامة فرج فودة ظل يسعى لتحرير العقل العربي من القيود التي تكبله.. ويعمل على إحداث تغييرات جذرية في شتى مناحي الحياة العقلية كي يفوق العرب من غفوتهم وسباتهم الطويل.. مفكر يبعث صحوة الروح في العقول التي باتت ترقد كسيحة فاقدة الوعي والإدراك والصلاحية. تحية لك في ذكراك العشرين كما انها تحية لمفكري النهضة العربية الحديثة أمثال نصر حامد أبو زيد وحسين مروة ومهدي عامل وسمير قصير، لأنكم حركتم سكون مجتمعات عاشت وتعيش على غياب الوعي والبطالة العقلية والفقر الفكري.

فرج فوده كاتب ومفكر مصري. ولد في ٢٠ أغسطس ١٩٤٥ ببلدة الزرقا بمحافظة دمياط في مصر. وهو حاصل على ماجستير العلوم الزراعية ودكتوراه الفلسفة في الاقتصاد الزراعي من جامعة عين شمس،و لديه ولدين وإبنتين، تم اغتياله على يد جماعة إرهابية آنذاك في ٨ يونيو ١٩٩٢ في القاهرة. كما كانت له كتابات في مجلة أكتوبر وجريدة الأحرار المصريتين.

أثارت كتابات د. فرج فودة جدلا واسعا بين المثقفين والمفكرين ورجال الدين، واختلفت حولها الأراء وتضاربت فقد طالب بفصل الدين عن الدولة، وكان يري أن الدولة المدنية لاشأن لها بالدين. حاول فرج فودة تأسيس حزب باسم "حزب المستقبل" وكان ينتظر الموافقة من لجنة شؤون الأحزاب التابعة لمجلس الشوري المصري ووقتها كانت جبهة علماء الأزهر تشن هجوما كبيرا عليه، وطالبت تلك اللجنة لجنة شؤون الأحزاب بعدم الترخيص لحزبه، بل وأصدرت تلك الجبهة في ١٩٩٢ "بجريدة النور" بياناً "بكفر" الكاتب المصري فرج فودة ووجوب قتله.

استقال فرج فودة من حزب الوفد الجديد، وذلك لرفضه تحالف الحزب مع جماعة الإخوان المسلمين لخوض انتخابات مجلس الشعب المصري العام ١٩٨٤.

أسس الجمعية المصرية للتنوير في شارع أسماء فهمي بمدينة نصر، وهي التي اغتيل أمامها.

الاغتيال

تم اغتياله في القاهرة في ٨ يونيو ١٩٩٢ حين كان يهم بالخروج من مكتبه بشارع أسماء فهمي بمدينة نصر إحدي ضواحي القاهرة بصحبة ابنه الأصغر وأحد أصدقاءه الساعة السادسة و ٤٥ دقيقة، علي يد أفراد من منظمة تستخدم العنف السياسي عرفت باسم الجماعة الإسلامية حيث قام شخصان بينهما مطلق الرصاص من بندقية آلية بقتله فيما كانا يركبان دراجة نارية، فيما أصيب ابنه أحمد وصديقه إصابات طفيفة. أصيب فرج فودة بإصابات بالغة في الكبد والأمعاء، وظل بعدها الأطباء يحاولون طوال ست ساعات لإنقاذه إلي أن لفظ أنفاسه الأخيرة، ونجح سائق فرج فودة وأمين شرطة متواجد بالمكان في القبض علي الجناة.

تبين أن الجريمة جاءت بفتوي من شيوخ جماعة الجهاد علي رأسهم الشيخ عمر عبد الرحمن المسجون حاليا في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي شهادة الشيخ محمد الغزالي في أثناء محاكمة القاتل وصف الغزالي فودة "بالمرتد" "وأنه (ويقصد فرج فودة) مرتد وجب قتله" وأفتى بجواز أن يقوم أفراد الأمة بإقامة الحدود عند تعطيلها، وإن كان هذا افتياتا على حق السلطة، ولكن ليس عليه عقوبة، وهذا يعني أنه لا يجوز قتل من قتل فرج فودة حسب تعبيره.

أثناء المحاكمة سئل قاتل فرج فودة:

× لماذا اغتلت فرج فودة؟

• القاتل: لأنه كافر.

• ومن أي من كتبه عرفت أنه كافر؟

• القاتل: أنا لم أقرأ كتبه.

• كيف؟

• القاتل:أنا لا أقرأ ولا أكتب

مؤلفاته

- الحقيقة الغائبة.
- الوفد والمستقبل.
- زواج المتعة.
- حتى لا يكون كلاما في الهواء
- حوارات حول الشريعة.
- النذير.
- الطائفية إلى أين؟
- الإرهاب.
- الملعوب.
- حوار حول العلمانية.
- نكون أو لا نكون.
- قبل السقوط.

سمر فرج فودة فى ذكرى والدها تكتب...

أبى الحبيب..

شباب المهجر (مقالات) بقلم: سمر فرج فودة: طالما قلت لنفسى وأنا صغيرة من شدة خوفى عليك "لماذا أنا لست ابنة رجل عادى لكى نعيش حياة هادئة آمنة؟"، وكنت أكره شعورى بالاختلاف عن باقى زملائى وزميلاتى فى المدرسة، ولكنى الآن دائماً أقول لنفسى لماذا ليس كل الناس أبناء رجل مثل "فرج فودة"، لطالما كنت أتهمك فى قرارة نفسى بأنك تحب مصر أكثر من أبنائك ولكنى الآن قد أدركت معنى أن تسمو بحب مصر فوق كل أحبائك وحتى نفسك.../...

مازلت أذكر عندما كنت أقول لك من شدة خوفى عليك كفى يا أبى، لن تفعل لمصر أكثر مما فعلت، فنحن نحتاج إليك، ما زلت أذكر عندما كنت تقول لى إنك تعلم أن نهايتك سوف تكون على يد هؤلاء القتلة الإرهابيين، مازلت أذكر عندما كنت تقول لى أن ما تفعله من أجل مصر، سوف يكتب فى التاريخ، مازلت أذكر عندما كنت تحارب بقلمك ضد الفتن الطائفية وتدافع عن حقوق الأقليات وعن إخواننا المسيحيين، مازلت أذكر عندما كنت تقول لى دائماً "إنتى اللى طلعالى فى ولادى"، مازلت أذكر عندما كنت تختار لى الكتب من مكتبتك لأقرأها، لأنى أحب القراءة مثلك، مازلت أذكر عندما انتابنى الرعب الشديد من مكالمات التهديد بقتلك وسألتك وقتها بكل عفوية وبراءة، "إذا قتلوك من سوف يربينا؟، فقلت لى سوف تجدى كثيرا من الآباء حولك، وجدت بالفعل ولكن لا أحد فى الوجود يعوضنى عنك، لا سامحهم الله من حرمونا منك!!

أنظر حولى فلا أجد سمر فرج فوده غيرى، الكل يعمل على شاكلة أبيه، اطمئن فلك ابنة لا تخاف إلا الله ولا تخشى فى الحق لومة لائم، ابنة أراد الله لها أن تمتهن نفس المهنة رغم كرهها الشديد لها لأنها سبب موتك، اطمئن فلن ينال أحد من مصرنا الحبيبة، الحرة الأبية، المدنية.

أبى الغالى.. مصر الآن تمر بوقت عصيب، فنحن فى عصر الضحالة الفكرية، عصر اختلطت فيه الأمور وأصبح الحق باطل والباطل حق، عصر ندر فيه القادة السياسيين، أصبح المصريون يلتفون حول السفهاء والقتلة، عصر الجهل المقدس الذى لا يؤمن بالعقل والتنوير، عصر فيه السفهاء زعماء والأشرار أخيار، نحن الآن وبعد مرور ٢٠ عاما على فقدك أصبحنا فى أمس الحاجة إليك، فقد كنت سابقاً لعصرك، كنت مصباح التنوير الذى ينير العقول المظلمة.

اطمئن واسترح فى قبرك يا أبى، فكرك و قلمك سيبقى إلى الأبد، فكم من الناس يموت كل يوم ولا نذكر لهم شيئا، أما أنت فمن الخالدين، وأخيراً و ليس آخر كانت جدتى رحمها الله تقول بالعامية "الميت يدرا قبل الحى"، أتمنى من كل قلبى أن تكون الآن كما قالت، تدرى ما أرسلت لك من كلمات بالرغم من أنها لا تستطيع أن تعبر عما أشعر به نحوك من حب، افتقدك كل يوم أكثر من الذى قبله، فخورة بك وباسمى الملتصق باسمك إلى يوم الدين.

عن صحيفة الشروق المصرية

فـــرج فـــــودة.. ســـــلامٌ عـلـيـك

فاطمة ناعوت

كان يا ما كان، ليس فى سالف العصر والأوان، بل بالأمس القريب، قبل برهة خاطفة على مقياس الزمن، منذ سبعين عامًا لا غير، كان هناك تحضّرٌ ومدنيةٌ وليبراليةٌ واستنارةٌ فى بلد جميل اسمه «مصر».

كان هناك مَن يؤمنون بأن الفكرَ لا يحاجِجُه إلا الفكرُ، وليس الرصاص والدم. كان هناك شعبٌ متنوّرٌ يمتلك ثقافة احترام الآخر، واختلافه، الذى هو رحمةٌ من الله، كما يقول السلفُ الصالح. كان هناك رجلٌ اسمه «إسماعيل أدهم»، ألّف كتابًا عنوانه: «لماذا أنا ملحد»، فلم يُصادَر كتابُه ولم يُهدَر دمُه، بل ردّ عليه رجلٌ آخر اسمه «أحمد زكى أبوشادى» برسالة عنوانها: «لماذا أنا مؤمن»، ثم رد عليهما رجلٌ ثالث اسمه «محمد فريد وجدى» بمقال عنوانه: «لماذا هو ملحد».

كان هذا فى بدايات القرن الماضى، حين كنّا متحضرين. ولكن، لأن مصرَ ترجع إلى الوراء، بدل أن تسير للأمام، جاءت على مصرَ لحظةٌ انتهت فيها مقارعة الفكر بالفكر، ليحتلّ الخنجرُ مكان القلم.

جاء مع نهاية القرن رجلٌ مسلمٌ مستنير، أحب الإسلامَ جدًّا، فعاب على سلوك مَن يشوّهون الإسلام. أراد أن يحفظ للدين مكانته القدسية بعيدًا عن يد السياسة البراجماتية الميكيافيلية، فقتلوه!

قتلوه لأنه قال بالحرف: «لا أحد يختلفُ حول الإسلام/الدين، لكننا نناقشُ ونجتهد حول: الإسلام/الدولة. الإسلامُ/الدين فى أعلى عِلِّيين، أما الدولة فهى كيانٌ سياسىّ، وكيان اقتصادى، وكيان اجتماعىّ، يلزمه برنامجٌ تفصيلى يحدد أسلوب الحكم».

قتلوه لأنه حاول جاهدًا أن يعيد للإسلام هيبتَه وعظمته عن طريق تخليصه من الترهات التى تُنسب إليه قسرًا على يد جهلاء الدين، فتُضحك علينا العالم، وتُبكى علينا السماءَ.

قتلوه لأنه حاول تبرئة الإسلام من الدموية التى يمارسها أعداءُ الحياة متسترين تحت لواء الدين الشريف.

قتلوه لأنه عمل على تنقية الإسلام من باب «فقه النكد» الذى أدخله بعضُ فقهاء الدين جهلاً وظلما ضمن أبواب فقه الإسلام السمح.

فحرّموا الموسيقى والنحت والفن وكل ما من شأنه أن يرتقى بالإنسان ويسمو بروحه. دون أن يسألوا أنفسهم لماذا خلق اللهُ الطيورَ صادحةً، والنحلَ ينحتُ ممالكَه البديعة، وموجَ البحر يصنع لوحاته التشكيلية الفاتنة!

أولئك الذين زعموا أن الله لا يسمح للمرأة بأن ترى إلا بنصف عينها اليسرى فقط!، دون أن يسألوا أنفسهم لماذا خلقها اللهُ بعينين اثنتين مادام يكفيها «نصفُ عين؟!»، ولو أتعبوا أنفسهم قليلاً وقرءوا فى العلم، لتعلّموا أن الرؤية المجسمة ثلاثية الأبعاد لا تتم إلا باستخدام العينين معًا.

أولئك الذين حرّموا غرف الإنعاش وجلسات الغسيل الكُلوىّ بزعم أنها تعطّل لقاء المريض بربّه! أولئك الذين طالبوا بختان الفيلسوف الفرنسى الشهير روجيه جارودى وهو فى السبعين من عمره قبل أن يقبلوا اعتناقه الإسلام!

قتلوا فرج فودة لأنه كان أكثر إسلامًا وتديّنًا منهم. من أولئك الذين أفتوا بقتله وأهدروا دمه، ومن صاحب اليد الآثمة التى أزهقت روحه المستنيرة دون أن يقرأ حرفًا مما كتب شريفُ القلم فرج فودة. ببساطة لأن القاتلَ أمىٌّ لا يقرأ!

غير أنه يمتلك أذنًا تنصتُ إلى الشر، سمع بها أن الرجلَ كافرٌ، فاغتاله، دون تفكير ولا تدبر ولا رحمة. أحدهم «قال» إن الرجل كافر، فقام آخر بالقتل دون أن يبحث وراء صدق أو كذب هذا الذى «قيل» له. تلك ثقافة «قالوا له» التى جفّ حلقى من المناداة بهدمها بعدما انتشرت فى مجتمعنا المصرى على نحو مخيف.

ونسمع فى أشهر محاكمات التاريخ ما يلى، حينما سألت هيئةُ المحكمة قاتلَ فرج فودة: «لماذا اغتلت فرج فودة؟» فيجيب القاتل: «لأنه كافر». «ومن أى من كتبه عرفت أنه كافر؟» «أنا لم أقرأ كتبه». «كيف؟» فيجيب القاتل بكل ثقة وخُيلاء: «أنا لا أقرأ ولا أكتب»!

ويا فرج فودة، فى ذكرى استشهادك ٨ يونيو ١٩٩٢، نقول لك: لَكَمْ نحتاجُ إليك الآن تحديدًا، مثلما احتجنا إليك، وإلى مَن يحملون شعلة التنوير مثلك، طوال الوقت. سلامٌ عليك!

عن المصري اليوم

ماذا قال فرج فودة عن الفتنة الطائفية

لمثقف الحقيقى هو الذى يمتلك نبوءة زرقاء اليمامة بالنسبة لمستقبل وطنه، وقد كان فرج فودة من هؤلاء، ومن يقرأ كتبه الآن يحس أنه كان يتوقع مثل هذا المصير المؤلم للدولة المدنية، وكان يحس بنذير الفتنة الطائفية التى ستمزق النسيج الوطنى المصرى، وكان يقرأ خريطة انهيار العلاقة بين قطبى هذا الوطن.. نحتاج الآن أن نسمع كلماته التى شخّصت هذا الوجع، نحتاج الآن أن نستحضر نضال هذا الرجل الذى اغتيل غدراً بأيدى غربان الظلام من المتطرفين الذين كانوا مجرد ضيوف فى زمنه، فصاروا بعد موته أصحاب البلد الحقيقيين.

يقول فودة: «أى اتجاه لدعوة المسيحيين لاعتناق الإسلام فى مصر يجد ترحيباً شعبياً، ويعتبره الكثيرون واجباً دينياً، وتغمض السلطات أعينها عنه بل تساعد عليه فى كثير من الأحيان، وفى المقابل بالطبع فإن أحداً لا يتخيل حدوث جهد منظم فى الاتجاه العكسى، ولو حدث ما يشبه ذلك بجهد فردى، لأصبح يندرج تحت بند (إثارة القلاقل).. وخطورة ما أذكره هنا أن فهم حرية العقيدة على المستوى الرسمى سواء كان الحكومى أو الإعلامى أو التعليمى، هو الدعوة إلى تحويل مصر إلى دولة دينية، فيحل الانتماء الدينى محل الانتماء الوطنى أو يسبقه على الأقل، ويتم إلزام غير المسلمين باتباع شرائع المسلمين والدفاع عن (دول الإسلام).

إن كاتب هذه السطور يعتقد أن علمانية مصر أو مدنية الحكم فيها هى التى حفظت وحدة مصر، وتحولها إلى دولة دينية هو السبب الحقيقى فى توتر المشكلات الطائفية وتتابعها خلال ربع القرن الأخير.. وهو الكفيل باستمرارها فى نسف هذه الوحدة الوطنية نسفاً، وإدخال مصر فى مسلسل من الفتن يسهل أن تتحول إلى حروب أهلية حقيقية لن يكون طرفاها المسلمين والمسيحيين، بل سيكون أحد طرفيها المسلمين والمسيحيين المتعصبين، وسيكون الطرف الآخر شاملاً للمسيحيين وللمسلمين المتنورين وللمؤمنين بحرية الاعتقاد كما يجب أن تكون.

إن حضارة العصر لا تتسع لدولة دينية متعصبة، وقد أضفت هنا لفظ (متعصبة) لأنه لزوم ما يلزم، فالدولة الدينية والتعصب وجهان لعملة واحدة، هى الشذوذ والرجوع خلفاً فى وقت يتوجه فيه العالم إلى الأمام..

إن الدعوة لتحويل مصر إلى دولة دينية هى التعبير السياسى عن دعوة أخرى تبدو وكأنها دعوة لتطبيق تعاليم الدين أو دعوة لتعديل النظم التشريعية، وأقصد بها الدعوة لتطبيق الشريعة الإسلامية وهى دعوة لا ينكر أصحابها أن (الردة) جريمة تستحق الاستتابة والعقاب، ولست أظن أن أحداً يمكنه بضمير مستريح أو بمنطق متماسك واضح أن يدرج الردة خارج إطار حرية الاعتقاد، أو أن يعتبر مثلاً المرتد أو استتابته ممارسة لحرية العقيدة المطلقة..

إن أسوأ ما يمكن أن يحدث لباحث هو التردد أو التحسب أو الخوف، وأحسب أن كاتب هذه السطور خارج هذا الإطار، ولهذا فإنه من المناسب هنا أن أوضح ما أقصده تحديداً، وهو أن الدعوة لتطبيق الشريعة الإسلامية فى مصر بما فيها حد الردة يمثل انتهاكا واضحاً لحقوق الإنسان وتحديدا لحرية الاعتقاد التى لن يصبح لها معنى ولا دلالة ولا وجود فى ظل هذا التطبيق».

انتهى كلام فرج فودة وأتمنى ألا ينتهى الوطن.

عن موقع أوان الالكتروني

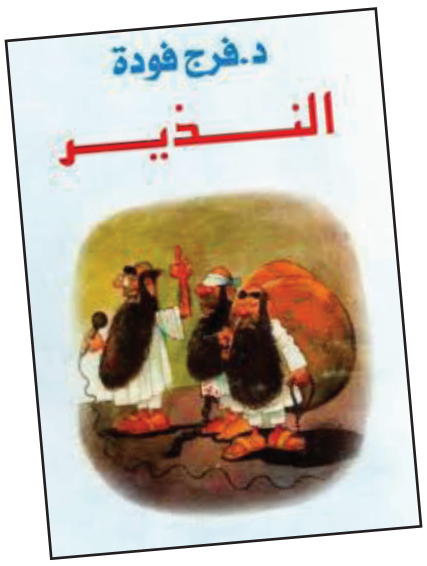

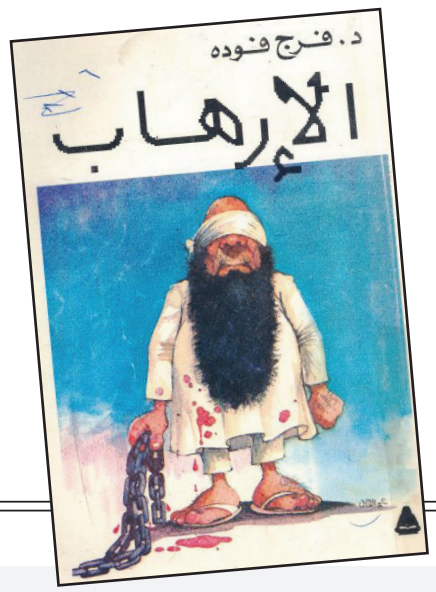

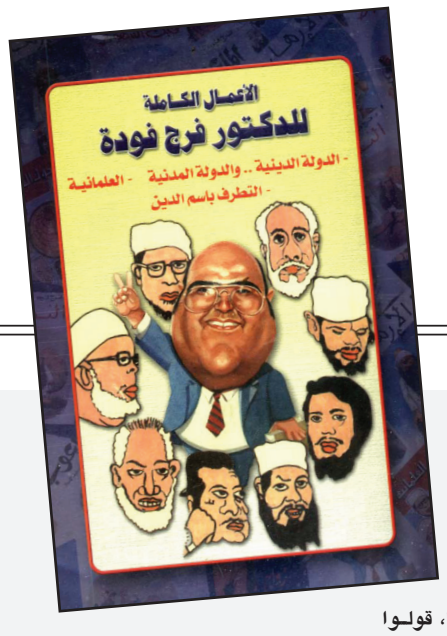

فرج فودة بين النبوءة والكابوس

خالد منتصر

منذ عشرين عاماً بالتمام والكمال تم اغتيال شهيد الفكر «فرج فودة» أمام مكتبه فى شارع أسماء فهمى من شخص لم يقرأ حرفاً من كتبه ومقالاته!! قالوا له اقتل هذا الكافر فقتل!، قالوا له لقد أعلن أفكاره الكافرة فى مناظرة معرض الكتاب فصدق وقتل «سماعى»، من الذين قالوا له وأمروه بالقتل؟، إنهم من نطلب لهم العفو الشامل عن جرائمهم فى هذه الأيام، ما أحوجنا أن نقرأ فرج فودة الآن حيث تحققت نبوءاته بالحرف وصرنا نعيش الكابوس الذى حذر منه.

سأقتبس لكم من هذه المناظرة بمناسبة الاحتفال بذكرى فرج فودة العشرين بعض الفقرات وأترك لكم الحكم، هل يستحق فرج فودة الاغتيال بعد هذه المناظرة أم يستحق التكريم؟

وهل اختلافه مع الإسلام السياسى يعنى اختلافه مع الإسلام نفسه؟ اقرأوا بعين العقل وأنتم ستعرفون أن فرج فودة كان يدافع عن صورة الإسلام السمح الحضارى بعيداً عن الاستغلال السياسى وأحكام التكفير والقتل.

بدأ د. فرج فودة الندوة بقوله: «لا أحد يختلف على الإسلام الدين، ولكن المناظرة اليوم حول الدولة الدينية، وبين الإسلام الدين والإسلام الدولة، رؤية واجتهاد وفقه، الإسلام الدين فى أعلى عليين، أما الدولة فهى كيان سياسى وكيان اقتصادى واجتماعى يلزمه برنامج تفصيلى يحدد أسلوب الحكم».

يقول فودة أيضاً: «لا أقبل أن يهان الإسلام، حاشا لله، أما أن يختلف الفرقاء فى أقصى الشرق وأقصى الغرب، ويحاول توثيق خلافاته بالقرآن والسنة ومجموعة الفقهاء، لا يا سادة حرام حرام، نزّهوا الإسلام وعليكم بتوحيد كلمتكم قبل أن تلقوا بخلافاتكم علينا، قولوا لنا برنامجكم السياسى، هل أفعال هؤلاء الصبيان الذين يسيئون إلى الإسلام بالعنف وهو دين الرحمة، هؤلاء الصبيان منكم أم ليسوا منكم؟، إذا كان التنظيم السرى جزءاً من فصائلكم أم لا، تدينونه اليوم أم لا؟ هل مقتل النقراشى والخازندار بدايات لحل إسلامى صحيح؟ أم أن الإسلام سيظل دين السلام، ودين الرحمة، والدين الذى يرفض أن يقتل مسلم ظلماً وزوراً وبهتاناً لمجرد خلاف رأى».

ويختم فرج فودة كلمته قائلاً: «القرآن بدأ بـ(اقرأ)، وسنظل نتحاور لنوقف نزيف الدم ونصل إلى كلمة سواء، وأنا أؤكد لكم أنه ليس خلافاً بين أنصار الإسلام وأعدائه، هو خلاف رؤى، وهذه الرؤى لا تتناقض مع الإسلام، لكن الفريق الذى أنتمى إليه لم ير أبداً أن الإسلام دين العنف، الإسلام هو دين القول بالتى هى أحسن، ولأجل هذا نحن ندين الإرهاب لأنه قول وفعل بالتى هى أسوأ، التاريخ نقل إلينا حوار أبى حنيفة مع ملحد، كان الحوار بالحروف لا بالكلاشينكوف! أدعو الله للجميع أن يهتدوا بهدى الإسلام وهو دين الرحمة، وأن يهديهم الله ليضعوا الإسلام فى مكانه العزيز بعيداً عن الاختلاف والفرقة والإرهاب، وعن الدم والمطامح والمطامع».

عن الاهرام المصرية

مستقبل الثقافة

أمير الحلو

مرت قبل أيام ذكرى استشهاد الكاتب التقدمي المصري (فرج فودة) صاحب المؤلفات المعروفة بعلميتها ورفضها للفكر الرجعي، وقد تابعت كتاباته خلال حياته غير الطويلة مع من شاركوه مثل هذه الأفكار كنصر حامد أبو زيد وخليل عبد الكريم والسيد القمني ومحمد الشحرور وقبلهم كلهم الاستاذ نجيب محفوظ من خلال (أسطر) رواياته وما تحمله من معان تتجاوز أي مقال في التحليل السياسي والاجتماعي.

لست في مجال رثاء فرج فودة فليس هذا ما يستحقه الرجل فقط، بل أردت من خلاله أن أتحدث عن ظاهرة اضطهاد ومطاردة المثقفين وصولاً الى الاعتقال أو الاغتيال في أكثر الدول العربية سواء بطريقة (رسمية) أو قيام منظمات وأفراد بذلك، فقد شاهدت على احدى الفضائيات المصرية حديثاً يقول بأن قاتل فرج فودة اعترف بأنه لم يقرأ أي كتاب له ولكن قيل له أنه كافر يستحق القتل، كما أن الذي طعن كاتب القرن نجيب محفوظ بسكينه أعترف بأنه لم يقرأ أياً من رواياته ولا علاقة له بالأدب أساساً فجرى استغلاله لارتكاب هذه الجريمة، وقد حمدت الله أن الكاتب التقدمي (صادق النيهوم) قد توفي بشكل طبيعي بعد مرض شديد، كما فرحت (لهرب) حامد نصر أبو زيد مع زوجته الى هولندا بعد أن أصدرت محكمة صغيرة حكماً بتطليقهما على أساس أنه كافر ولا يجوز له الزواج بأمرأة مؤمنة، فأذا بالمؤمنة تهرب مع الكافر بعيداً عن وطنها!

والذي أخشاه بعد مرور سنوات على اغتيال فرج فودة، أن يقوم (المنتصرون) بالسير على نهج قاتله الجاهل فيزداد عدد الضحايا سواء جسدياً أو فكرياً، وأن تطال أفكارهم الثقافة والفن والموسيقى وحتى (التماثيل) كما فعلت طالبان بتمثال الحكيم بوذا!

إن على جميع المثقفين أن يتآزروا في جميع البلدان العربية للدفاع أمام هذه الظاهرة التي نخشى أن تكون ممارسة رسمية، فتتحول المناهج الدراسية الى وسيلة لنشر التخلف، وتصبح وزارة الثقافة لا علاقة لها بالثقافة المستنيرة وتفرض على المجتمع أفكاراً وممارسات عفا عليها الزمن.

أعتقد أن الأمور ستكون خطيرة إن لم يقم المثقفون بتفعيل إتحاداتهم وتوثيق علاقاتهم من خلال المؤتمرات الجادة لصد هذه الهجمة التي ستحرق كل ما تعلمناه من المعرفة، وكل ما رأيناه ونراه من أوجه التقدم والعلم والأدب والموسيقى والفن في أكثر دول العالم.

كـم فـرج فـودة نحتـاج؟

محمد ثامر يوسف

قبل اكثر من اربعة عشر عاما استشهد فرج فودة في مصر، قتله متطرفون اسلاميون بالتواطئ مع التيارات الدينية المتشددة لانهم عجزوا عن مجابهته بالحجة والرد على آراءه بالعقل ومقالاته وكتاباته الجريئة بالحوار. عرت كتاباته زيف الشعارات المتسترة بالدين، التي كانت تضحك على عقل الانسان وترى فيه حاجة فائضة، وفي الحياة عبء ثقيل ومكروه. تصدى فودة في الكثير من المقالات والكتب التي نشرها لتفنيد الخزعبلات التي كان ينشرها هؤلاء على المنابر والمنشورات والمطبوعات بما تنطوي عليه من دعوات ظلامية لهجرة الحياة وتغييب العقل واشاعة الخرافة وتثبيط الهمم بالاعتماد المطلق على الغيب تسترا باسم الدين واستغلالا بشعًا لأسم الله الجميل.

الاسباب التي دعت فرج فودة للوقوف بشجاعة ضد قوى الظلام والردة وقتل الحياة، موجودة كلها في عراق اليوم.
انكشاف الساحة على هذه السعة واستغلال هذه الفوضى والانفلات الواسع، بما فيه تردي الحال الاقتصادي واستخدام العنف المسلح مقابل ضعف القانون المريع وهشاشة الدولة ومؤسساتها كل هذا سمح بصعود قوى اصولية مختلفة لا ترى من فوائد هذا التحول الذي ترقبناه بصبر طويل وتأملنا خيرا فيه، الا فرصة في العودة للماضي السحيق بدون النظر للمستقبل.

لا مدينة في هذا العراق العجيب اليوم تخلو من سطوة التشدد الديني وقيادة الناس بقوته بما في ذلك تعطيل كثير من تقاليدهم الاجتماعية والمدنية التسامحية التي اعتادوها منذ عقود طويلة.

الكل يقول كلمته في هذا العراق اليوم، بطريقته الخاصة السياسي ورجل الدين والمسلح الارهابي وزعيم العصابة، الا الانسان، الانسان الهائل الصامت حتى الان والطيب، الانسان المغلوب والغالب، هذا المنتشر في كل شيء حي حتى وان بوجع تظلله البيوت بقلق وصبر لا تطيقه حتى الجبال.
الانسان الذي يعرف ان لا احدا يحميه، لا قانون لانه كلمات، ولا دستور لانه ورقة بيضاء لا تضر ولا تنفع حتى الساعة..
لا فرق في الامر بين مدينة ومدينة في العراق كله، فالذي يفتي بحرمة قيادة المرأة لسيارتها ويمنع المرء من ارتداء بنطلون الجنيز، هو نفسه الذي يقتلك لمجرد انك تختلف معه في الرأي.
والذي يفجر بعبوة ناسفة محلا لتسجيلات الاغاني هو نفسه الذي يحرم تناول (السلاطة) لانها ناتج اتحاد (جنسي) بين الخيار والطماطم.
والذي يشيع اليوم في الثقافة الادب نمطا طائفيا تقليديا كلاسيكيا رجعيا هو نفسه الذي تستفزه محلات حلاقة النساء مفتوحة، تلك التي انقرضت الان تماما..
واذا كان لا خوف على مصر يوم اغتيل فرج فودة لقوة الدولة المدنية فيها واصالة مؤسساتها وسطوة نخبها المثقفة وتياراتها الواعية الراسخة.
فكروا بالانسان الكثير والكبير والاعظم صورة الله في الارض وخافوا لو انقلب.

××××

هامش

سئل قاتل فرج فودة اثناء محاكمته
ـ لماذا اغتلت فرج فودة؟
ـ لانه كافر.
ـ ومن أي من كتبه عرفت انه كافر؟
ـ انا لم أقرا كتبه.
ـ كيف؟
ـ انا لا أقرا ولا اكتب!!

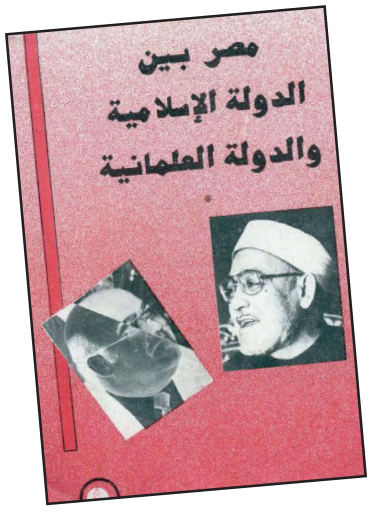

الحقيقة الغائبة

مرت في شهر يونية/حزيران من هذا العام الذكرى العشرون لاستشهاد الدكتور «فرج فودة» الباحث والمفكر الليبرالي الذي قتله بائع سمك لا يقرأ ولا يكتب لأنه سمع من شيوخه أن «فودة» ملحد وأنه يتطاول على الإسلام.

فريدة النقاش

وفي شهر فبراير/شباط من هذا العام انقضى ربع قرن على استشهاد المفكر والباحث الماركسي اللبناني الدكتور «حسين مروة» الذي أطلق عليه الرصاص في سريره وهو شيخ تجاوز الثمانين أحد المتطرفين الإسلاميين، قيل مرة إنه ينتمي لحركة أمل وقيل مرة أخرى إنه ينتمي لحزب الله ولم يتوصل التحقيق لشيء، وبقتل «حسين مروة» خسر الفكر العربي خسارة فادحة لأن حسين مروة كان بصدد إصدار الجزء الثالث من كتابه التأسيسي «النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية».

وكان الشيوخ الذين حرضوا ضد الدكتور «فرج فودة» حتى قتله الجهل والتعصب، يبتغون الانتقام من كتابه المهم «الحقيقة الغائبة» الذي تتبع فيه تاريخ الخلافة الإسلامية كحديث تاريخ وسياسة وفكر، وليس حديث إيمان وعقيدة، وحديث مسلمين لا حديث إسلام، وهو يفتح بابا أغلقناه كثيرا عن حقائق التاريخ، وقد يحيي عضوا أهملناه كثيرا وهو العقل، وقد يستعمل أداة تجاهلناها كثيرا وهي المنطق، وذلك في مواجهة اتهامات أهونها أنك مشكلة، وأسئلة أيسرها هل يصدر هذا من مسلم؟ وواجهتك قلوب عليها أقفالها، وعقول استراحت لاجتهاد السلفي، ووجدت أن الرمي بالحجارة أهون من إعمال العقل بالبحث، وأن القذف بالاتهام أيسر من إجهاد الذهن بالاجتهاد، وهؤلاء الذين يدعون إلى العودة للخلافة الإسلامية ويعلنون بلا مواربة أنهم أمراء، ويستهدفون الحكم لا الآخرة، والسلطة لا الجنة والدنيا لا الدين، كما يرون أن الدين والسياسة وجهان لعملة واحدة كما يقول فودة!

ويري دعاة الخلافة أن نقطة البدء تكمن في التطبيق الفوري للشريعة الإسلامية، مؤكدين أن التطبيق الفوري سوف يتبعه صلاح فوري للمجتمع وحل فوري لمشاكله.

وهنا يبرز سؤال،فإذا كان هؤلاء يدعون لدولة دينية يحكمها الإسلام، فلماذا لا يقدمون إلينا – نحن الرعية – برنامجا سياسيا للحكم، يتضمن قضايا نظام الحكم وأسلوبه، سياسته واقتصاده، مشاكله، بدءا من التعليم وانتهاء بالإسكان، وحلول هذه المشاكل من منظور إسلامي.. وأذكر هنا السؤال الذي وجهه الباحث الاقتصادي د. سمير رضوان الوزير السابق إلى الرئيس المنتخب د. محمد مرسي طالبا منه بأن يحدد موقفه وموقف حزبه بصراحة وبدون لف أو دوران

حول البنوك والسياحة ورهن قناة السويس، وهي قضايا محورية جوهرية في السياسة المصرية الراهنة فضلا عن أنها قضايا تثير مخاوف ملايين المصريين من العاملين في البنوك والمتعاملين معها، ومن العاملين بالسياحة وهم بالملايين تهددهم في عملهم أقوال لقادة حزب الأغلبية عن حظر كل أنواع السياحة ما عدا السياحة الدينية.

ويشير فرج فودة إلى ما سماه «عقم الاجتهاد» أو «اجتهاد العقم» الذي يعجز عن إنتاج رؤية دينية مستنيرة للقضايا الحياتية، وآخر اجتهادات القرن الثاني الهجري التي لم تعاصر قطاعا عاما أو بنوكا أدخلت العائد الثابت في دائرة الربا، وآخر ما وصل إليه الدعوة للدولة الدينية أو دولة الخلافة هو الركون إلى اجتهادات هؤلاء الفقهاء! يعجز دعاة الدولة الدينية عن التعامل مع واقع ترتبت فيه للمرأة حقوق، وأصبح عملها واقعا لا منّة ولا منحة، وحقا مكتسبا لا سبيل لمناقشته، وطرحت المتغيرات الجديدة في المجتمع من الظروف ما لا سابقة له في عهد مالك أو أبي حنيفة أو الشافعي أو ابن حنبل.

فما هي «الحقيقة الغائبة» التي اجتهد فرج فودة في البحث عنها فقتلوه حين كشفها؟

إنها ببساطة شديدة حقيقية أن عصور الخلافة الراشدة كانت عصور صراع دنيوي بامتياز حول نظام الحكم وصلاحيات الحاكم وغنائم الفتوحات، وتكديس الثروات، وفي ظل الخلافة جرى قتل المسلمين بسيوف المسلمين وهلك الصحابة بسيوف الصحابة.

ويستخلص الباحث ما تنادى به كل القوى الديمقراطية، إن قواعد الدين ثابتة وظروف الحياة متغيرة، وفي المقابلة بين الثابت والمتغير لابد وأن يحدث جزء في المخالفة، ونقصد بالمخالفة أن يتغير الثابت أو يثبت المتغير، ولأن تثبيت واقع الحياة المتغير مستحيل، فقد كان الأمر ينتهي دائما بتغير الثوابت الدينية، وقد حدث هذا دائما ومنذ بدء الخلافة الراشدة وحتى انتهت، وتغيير الثوابت هو ما نسميه بالاجتهاد.

والإسلاميون مطالبون الآن وقد وصلوا إلى أعلى موقع للقوة أن يخلعوا عباءة الاستقواء والمغالبة ويعترفوا بالدولة المدنية باعتبارها «الدولة التي تقوم على مبدأ المواطنة الكاملة وتحقيق المساواة بين المواطنين جميعا في الحقوق والواجبات، وعدم التفرقة أو التمييز بينهم بسبب الدين أو العرق أو العقيدة أو الجنس أو المذهب أو الانتماء السياسي، وينظم العلاقة فيها دستور مدني يضعه الشعب، وتتحقق فيها حرية إنشاء الأحزاب والنقابات والمنظمات غير الحكومية، وحقوق التجمع والتنظيم، وحرية ممارسة الشعائر الدينية واحترام الأديان جميعا وعدم الخلط بين السياسة والدين، وتكون القوات المسلحة فيها مسؤولة عن استقلال وسلامة الوطن وأرضه، ولا تتدخل في الشؤون الداخلية والسياسة والحكم».

وللأسف الشديد فإن الدولة المدنية لا تزال حقيقة غائبة عن فكر الإخوان المسلمين وسياساتهم وهو ما يفتح الباب واسعا أمام صراع مستقبلي سوف يستنزف طاقات البلاد بدلا من استثمارها من أجل تحقيق أهداف ثورة ٢٥ يناير المجيدة.. عيش، حرية، عدالة اجتماعية، كرامة إنسانية.

(هذا المقال كتب خصيصا لصحيفة المدى)

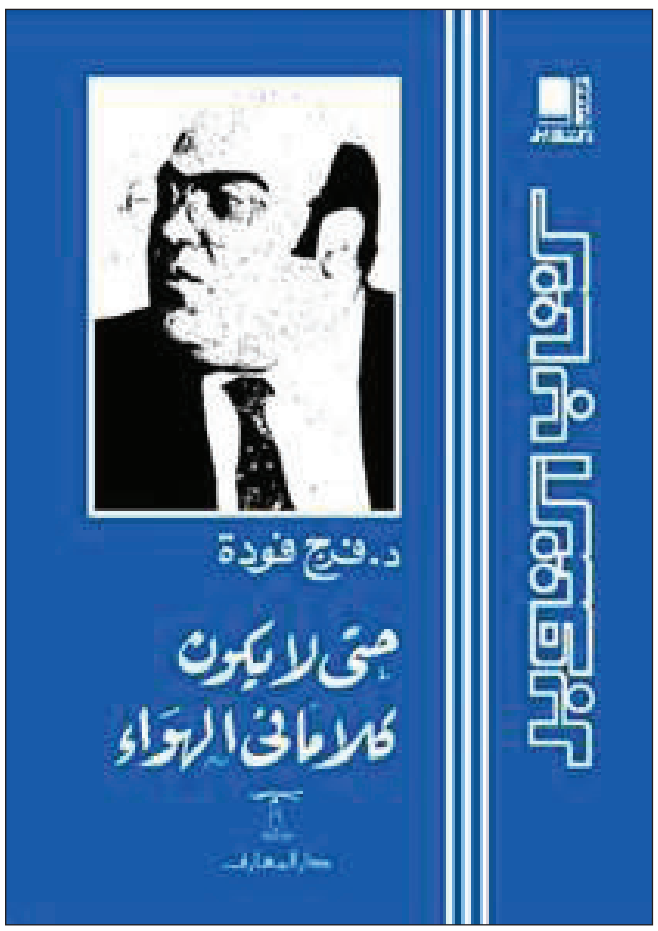

فرج فودة
- حتى لا ننسى -
من نقد الأصولية الى تأصيل النقد

احمد العطار

وأنا اقرأ كتاب "حتى لا يكون كلاما في الهواء" لشهيد الفكر و الكلمة الحرة الدكتور"فرج فودة".وأنا أغوص بين ثنايا الكتاب، متنقلا من مقال الى أخر،وجدتني أتأسف لمقتل مفكركان من الممكن أن يقدم أكثر مما قدم وأن يكتب و يجادل ويفيد أكثر مما فعل.

شعرت وأنا أقرأ كتابه أن حافزا يدفعني الى الكتابة عنه أو حوله أو من انطلاقا منه، و أعترف أنني استمتعت دوما بقراءته.جذبني اليه قوة حجاجه، و تماسك منطقه، وواسع علمه، و رشاقة قلمه.حلاوة الحديث و أدب الحوار. انه حقا كاتب يمتع ويغري ويفتح الذهن- ومند السطور الأولى-على عقلانية كان يفتقدها الجو العام أنذاك في مصر و باقي الأقطار العربية الاخرى. ففرج فودة يتقن اللعبةجيدا انه يعرف حقا من أين تأكل الكتف. يجذب القارئ-و للوهلة الاولى-. بلطافة معانيه ، و ومضات فكره ، و جرأة موقفه. كما يتبلور ذلك جليا في نقده للتيار الأصولي المتطرف، ولدعاة الانغلاق و الارهاب و الردة الحضارية. وهو النقد الذي حاول ف فودة تأصيله داخل البيئة الثقافية و السياسية العربية

و أعترف للقارئ أني قرأته مرات و مرات عدة. و أعاودهاليوم -بعد مضي ازيد من ١٣عاما على فراقه لنا-قراءة كتبه و الاستطراد في متابعة معركته ضد التطرف و الانغلاق ،و الفتنة الطائفية، و تسييس الدين ،و تديين السياسة.

.لقد اغتالت يد الارهاب و الجبن ف فودة ،و تصورت أنها بانهاء حياته قد أغلقت ملف واحد من أشجع الكتاب اللذين تصدوا للارهاب و التسلط باسم الدين

وحتى لايغلق ملف هذا المفكر، و حتى لايلف النسيان أفكاره المستنيرة، وحتى نستفيد من تجربته في مواجهة من يركبون شعارات الاسلام السمحة،ليقتلوا و يدمروا ويرهبوا ، و يعثون في الارض فسادا. سنعمل من خلال هده المقالة فكر فودة

فرج فودة الرجل / الموقف

ولد فرج فودة بمصرالعام١٩٤٥ بمحافظة الزقا دمياط ، و هو حاصل على ماجستير العلوم الزراعية و دكتوراه الفلسفة في الاقتصاد الزراعي، من جامعة عين شمس ١٩٨١، عمل معيدا بكلية الزراعة عين شمس، ثم مدرسا بكلية الزراعة ببغداد.ثم أخيرا خبيرا اقتصاديا في بعض بيوتات الخبرة العالمية.من كتبه

الحقيقة الغائبة-قبل السقوط-حوار حول العلمانية -الارهاب-نكون أو لانكون- حتى لايكون كلاما في الهواء -النذير- الملعوب...اضافة الىكتب و مقالات أخرى ومناظرات

اغتيل بالقاهرة على يد متطرفين اسلاميين في ١٩٩٢/٦/٨

وعلى العكس تماما مما خمنه قاتلوه، فقد هزت جريمة اغتيال فرج فودة كل أركان المجتمع المصري/العربي. وخرجت الألاف لتشييع جنازته و التنديد بمقتله.فقد عهدت مصر الاغتيالات السياسية كما حدث مع رفعت المحجوب، و أنور السادات، و غيرهم كثير. و كان هؤلاء محسوبين على السياسة. أما فودة فقد كان رجل فكر و قلم ولم يسبق لمصر ان شهدت اغتيالات فكرية كما حدث مع ف فودة

يقول صلاح منتصر رئيس تحرير جريدة أكتوبر التي نشر بها فودة أخر مقالاته "..عندما سألو المتهم باغتيال فودة عن أسباب جريمته قال لهم بسبب مقالاته في مجلة أكتوبر تحت عنوان كلام في الهواء. و لا أضن أن هذا المتهم قد قرأ مقالا واحدا له،لأن مستوى تعليمه يدل على أنه بالكاد يفك الخط ،و أنه اذا قرأ لا يفهم كثيرا كل معاني ما يقرأ و أن مترجما نقل اليه ما جعله يؤمن بأنه كافر ملحد زنديق. و أن اغتياله جاء في سبيل الله. وهو ما لا يكن بالقطع صحيحا و لا يملك بشر ان يقوله عن بشر.هكذا أقنعوا الذي أمسك بالمدفع و صوبه عليه(حتى لا يكون كلاما في الهواء ص٦ و مابعدها). أثارت كتابات فودة جدلا واسعا ونقاشاكبيرا بين المثقفين و المفكرين و رجال الدين. و اختلفت حولها الأراء وتضاربت وتصاعدت حتى بلغت حدا كبيرا من العنف أدى في النهاية الى توقف الحوار و اعلان القتل، فكانت الطلقات في مقابل الكلمات، و المدفع في مقابل القلم، و التكفير في مقابل التفكير.و كان من البديهي أن يختار أنصار التطرف و أصحاب القتل أقصر الطرق-الاغتيال-بعدا ان عجزوا عن المواجهة و فشلوا في الرد ،و قصروا في التصدي. وبعد أن أعياهم المنطق السليم، و أرهقهم العقل المستنير. و الغريب في الأمر أن ف فودة كان على علم بما يخبئه له المتطرفون الاسلاميون، فقد وجد اسمه ضمن قائمة الاغتيالات لدى احدى الجماعات الارهابية. ولا غرابة كذلك ان هذا لم يثني شهيد الفكر و لم يجعله يتراجع أو ينحني و انما زاده- كما يقول-اصرارا و صلابة و عشقا لوطنه. ذلك ماصرح به و قاله في غير ما موضع من كتبه و مقالاته

دعونا نستمع اليه يتحدث عن ذلك في كتابه "الارهاب"يقول:

ما زلت اتذكر احد ايام صيف عام١٩٨٢عندما كنت أعرض مسودات كتابي"قبل السقوط" ،على الأستاذ الكبير ابراهيم طلعت في الاسكندرية تعليقه المختصر.بالتوفيق،ولكنك تضع نفسك أمام فوهة المدفع. وقد تذكرت قوله مرة ثانية، و أنا أتهيا لاصدار كتابي "الارهاب" و كان تقديري أني وضعت بكتابته أمام فوهة المدفع. و ها هي السنوات تمر ويتوالى ما أصدرته من كتب و لم ينطلق المدفع بعد و لا يعنيني أن ينطلق.." .ثم يضيف قائلا "...و اليوم الذي لا يصلني تهديد منهم و الصباح الذي لا تكتحل عيناي فيه بهجوم من تياراتهم، دليل قصور في سعي و تقديري.فكم كانت جوانحي ترقص طربا و أنا أقرأ هذا كله، فمعناه واضح لديهم مفهوم لدي ، و دلالته أني قد أوجعتهم بما أكتب و أثيرهم بما أجتهد، و مادام رد فعلهم سباب و قذف و شتيمة فمعنى ذلك أن منطقهم أعجز عن الرد و أهون من الحوار.. واذا كان الشيئ بالشيئ يذكر فلعل القارئ يتذكر أن اسمي كان ترتيبه الثالث في قوائم الاغتيالات التي ضبطت لدى تنظيم "الناجون من النار" كما يسمون انفسهم "الساعون الى النار كما أسميهم". ولو لم يحدث ذلك لشعرت بأسى شديد. فالشجاعة تقاس بعداء الجبناء و السمو يقاس بعداء الوضعاء و الرصاص هو التعبير العنيف عن منتهى الضعف....أي حوار هذا الذي ينطق أحد اطرافه بالكلمات فيرد الطرف الأخر بالطلقات.اذا كان المقصود أن نتراجع فقد طلبوا المستحيل ،واذا كان المستهدف أن نخاف فقد ظلوا السبيل ،و اذا كان المطلوب أن نغمد القلم فقد اخطأوا رقم الهاتف.فالموت أهنأمن العيش في ظل فكرهم العيي و حكمهم العتي و منطقهم الغبي، و أن يفقد المرء حياته و هو يدافع عن حياة الوطن أشرف كثيرا من أن يعيش في ظل وطن ممزق، و أن يضحي المرء بالسنوات الباقية من عمره أشرف كثيرا من أن يقضيها تحت حكم من يفضلون ركوب الناقة على ركوب السيارة-كما يذكر أحد أعضاء الجماعة في اسيوط- أو من يذهبون فرادى و جماعات لقضاء الحاجة في الخلاء-كما يفعل اعضاء الجماعة في المنيا-. المقبرة أهون، و الاستشهاد افضل،

و الجهاد ضدهم حتى يقضي الله امرا كان مفعولا هو الاختيار الصحيح و المريح.. (الارهاب ص ١١ و ما بعدها)

هكذا اذن بجرأة و بسالة قل مثيلها يقف فودة ضد التيار، و يعرض حياته للطوفان الكاسح ،متمسكا بموقفه مؤمنا بمبادئه، مناضلا من أجل و طنه. حتى و ان دفع حياته ثمنا لحقه في الدفاع عن رأيه و فكره-وقد فعل-وهو في نقده و دفاعه ،وفي كره و فره ،لا يعرف غير العقل و المنطق طريقا، و الحوار و النقاش سلاحا وكلمة حق نقولها في حق هذا الرجل وهو أنه حتى و ان اختلفنا معه جملة أو تفصيلا، وسواء تبنينا مواقفه أو عارضناها فانه يبقى علينا في كل الاحوال ان نقف احتراما لموقفه الجريئ و جرأته وشجاعته التي يندر اليوم التحلي بها.

وللاقتراب أكثر من شخصية فرج فودة ولفهم أعمق دعونا ننصت لما قاله صلاح منتصر الذي عايشه و كان قريبا منه"... بالرغم أن فرج فودة كان ضخم الجثة يخيف منضره من لايعرفه فان كل من اقترب منه انضم بسرعة الى قائمةمحبيه. عندما كان يفاجأ برقة اسلوبه و أدبه ،و عفة لسانه،و رهافة مشاعره و براءة الطفل من داخله.مع قوة في الدفاع عن فكره و دلائل لا تنفد جمعهامن التاريخ و رتبها في أرشيف عقله. و كانت قدرته عظيمة في استخراجها بخفة و عرضها برشاقة و اقحام محاوره بسهولة...كان من الكتاب الذين يضيفون عددا من القراء كل أسبوع بسبب الطعم الخاص الذي كانت تتميز به كتاباته. و أ سلوبه المختلف الذي يصاحبه فكر محدد درس صاحبه طويلا امكان الوصول بسهولة و ثقة الى عقل القارئ، و في هدوء و قوة ، وكان منطقه يبدوا مترابطا لدرجة أني تصورت أنه من خريجي كلية الحقوق، و أنه درس القانون بل لفترة اعتقدت انه محام، و كم كانت المفاجأة عندما اكتشفت أنه درس الزراعة و لكنه كان عاشقا مدمنا للقراءة و الكتابة"(نفس المرجع ص٣)ا

و ها هي ذي شهادة رجل في حق صديقه و رفيق دربه انه الفنان "عادل امام" الذي جمعته بفرج فودة الدراسة بكلية الزراعة، و جمعتهما-كخاصية مشتركة-الرغبة في التعبير عن أفكارهما.و احد بقلمه و الأخر بفنه. يقول عادل امام في حوار مع مجلة "فن"العدد ١٢٩"..أنا لم أذهب الى أسيوط للتحاور معهم، فكيف أتحاور بالفكر مع من يمسك قنبلة...لقد قتلوا فودة لأنه قوي الحجة، و فكر حر و مستنير.فأرادوا أن يسكتوا منطقه ليس بفكر مضاد و لكن بطلقات الرصاص التي مزقت جلده."

ولنختم هذا المحور الأول-التعريفي - بما قاله ف فودة في كتابه"نكون او لا نكون". "ان ما أسجله في هذا الكتاب شديد الأهمية في تقديري لأنه يعكس واقع المعارك الفكرية التي نعيشها ،وهو سجل هام للأجيال القادمة أكثر من أهميته لجيلنا. لأنه وثيقة شرف لجيل أبائهم، و لعلهم لن يصدقوا أننا كتبناه و نحن غارقون في اتهام التكفير، و محاطون بسيوف الارهاب و التهديد. و يقينا سوف يكتب البعض من الأجيال القادمة ما هو أجرأ و أكثر استنارة. لكنه سوف يصدر في مناخ آخر أكثر حرية و انطلاقا و تفتحا. و لعله من حقنا عليهم ان نذكرهم أنهم مدينون لنا بهذا المناخ. وسوف يكتشفون عندما يقلبون أوراقنا و نحن ذكرى أننا دفعنا الثمن....ويا أيها القارئ بعد زمان طويل اقرأ لنا و تعلم كيف يكون الانسان موقفا ،و كيف نحتنا عصر تنوير بأقلامنا. وكيف كانت الكلمات أقوى من الطلقات. و افهم معنا ما فهمناه من كلمة الله العلي القدير حين شاء أن تكون أولي كلماته في الانجيل "في البدء كانت الكلمة" وفي القرآن "اقرأ" يأيها القارئ بعد زمان طويل...اقرأ"

نصوص و شهادات أدرجناها على طولها و بحرفيتها -عن عمد-ابرازا لحدة اللغة و الدلالة في الخطاب.و حتى يتعرف القارئ على هذا المفكر انطلاقا من هذه النصوص و الشهادات-وهي موثقة لدينا-و قد تكون دعامة أساسيةو دافعا قويا للدعوى التي سبق أن رفعناهاتحت غطاء سؤال"لماذا العودة الى كتابات ف فودة و الجواب الأني الذي نقدمه ،هو للاستفادة -اليوم و اكثر من أي وقت مضى-من تجربته و من صولاته و جولاته في نقد التطرف الديني و الاسلام السياسي و التيار اللاعقلاني و الذي يعرف تفريخا و امتدادا معولما اليوم و الذي يعتاش بدينامية داخل مجتمعاتنا.

×××

الذين يفكرون ثم يكتبون أحترمهم...
والذين يكتبون ثم يفكرون أعذرهم...
والذين يكتبون ولا يفكرون أبداً...
أرد عليهم...

"فرج فودة"

لماذا العودة الى فرج فودة وكتاباته:

كان الحديث السابق للتعريف بشخصية فرج فودة ،،من خلال عرض بعض الشهادات و الاضاءات لمفكرين و كتاب و أناس عايشوا الرجل أو كانوا قريبين منه.

وهنا سنتناول ما عبرنا عنه في صيغة سؤال:" لماذا العودة الى كتابات فرج فودة وفكره؟ " و الجواب الأني و السريع الذي قدمناه هو للاستفادة من صولاته و جولاته في نقد الاسلام السياسي المتطرف، و دعاة الارهاب و اللاعقلانية. و الحق أقول بدءا أن مسألة العودة هاته لاينبغي أن يفهم منها على أنها ارتداد الى الماضي أوحتى استدعاء له بقدر ماهي عودة بالأساس الى كتابات هذا المفكر من أجل استحضار نزعة العقلنة و الحداثة بغية استئناف مسيرتنا النهضوية التنويرية"المأمولة". وهذه العودة أو هذا الاستحضار -لفكر الرجل و منهجيته - لا يستقيم الا من خلال قراءته قراءة نقدية تاريخانية أولا ومن ثم يمكننا تحيينه وضخ دماء جديدة فيه تواكب ما استجد و استحدث في واقعنا المعاصر. و بذلك نكون قد كونا لانفسنا مرتكزا أخر و مرجعا ينضاف الى أترابه من رواد التنوير.انه اذن وصل و اتصال بهذا الفكر لامن أجل اجتراره بل من أجل الأخذ من مضامينه و منهجيته و طرائق تعامله مع هذه المعضلات التي تنخر جسد المجتمع العربي.واذا ما أخذنا بعين الاعتبار فرج فودة كصاحب قضية ،و كذو تجربة مهمة في محاربة الفكر المنغلق الاستأصالي و اذا ما استحضرنا في ذات الوقت واقع الأصولية الحالي و استقرءنا الضروف الأنية التي تشهد نفوذا قويا لشبكات الارهاب العالمي و متطرفي "السلفية الجهادية الجديدة " سلفية القرن الواحد و العشرين التي تضرب بيد من حديد أقطارا عدة غربية و عربية. وهي جماعات -معولمةحداثية لا تقليدية- تتألف من شباب جامعي متعلم، و متمكن من أدق التكنولوجيا الحديثة. شباب انتقل بشعاراته و انفجاراته من الصعيد المحلي الى الصعيد العالمي.من القطري الى الأممي.وهو يمثل في أصليته رد فعل على هزيمة ١٩٦٧ ، وفي أنيته رد فعل على الغطرسة الأمريكية، التي استباحت بلدانا عربية و اسلامية. فمثلت غزوات بن لادن و على رأسها غزوة ١١سبتمبر أقوى رد على الهمجية الامبريالية.وما يهمنا الاشارة اليه هاهنا هو التأكيد على حقيقة-تفقأ العين -وهو أن تطرف اليوم ليس هو تطرف الثمانينات و بداية التسعينات من القرن الماضي انه تطرف يحصد الاخضر و اليابس، العرب و العجم معا ، مسلمين وذميين على حد سواء

انطلاقا مما سبق ذكره قد تجد الدعوى" للعودة الى كتابات ف فودة وتجربته" التي قدم حياته ثمنا لها ما يزكيها أو ما يجعلها ذات قيمة واقعية، هذا ان لم نرى و يرى فيها اخرون شيئا يحتمه العقل، و يمليه المنطق، و تقره الضروف الموضوعية الراهنة

اذا ما حاولنا اضفاء تحليل فلسفي-ماركسي- على ما ذكرناه انفا فانه اذا ماعتبرتا التفريخ الأصولي اللاعقلاني المتطرف يمثل "القضية" فأن نقيضها الموضوعي" نقيض القضية" يجب أن يمثل في نضرنا تفريخا عقلانيا نقديا حداثيا،في مقابل- التيارات اللاعقلانية، و الرؤى الرجعية في فكرنا وو اقعنا- وفي هذا الصدد يندرج فكر ف فودة. و بالتالي يكون المركب الجدلي الذي يركب ما بين القضية و نقيضها و يتجاوزهما الى الكل هو بناء مجتمع ديموقراطي عقلاني تقدمي مسالم

نستطيع أن نعلن بعد هذا الذي سبق و بكل صراحةضم رأينا الى موقف الأستاذ محمد شكري سلام مؤلف كتاب: "الاسلام-الدين - السياسة.نقد فرج فودة للأصولية الدينية-منشورات اختلاف-" و الذي يرى أن مسألة "العودة" هاته مسألة ملحة و مطلب له ما يبرره،وهي عودة تستمد مشروعيتها كما يقول من ثلاث دوافع مقنعة

الدافع الأول: هو مرور أزيد من عقد زمني على استشهاد ف فودة اذ يشكل الاقدام على عرض بعض كتاباته احياء لنزعة النقد و نزوع الجرأة اللذان وسم بميسمها اقتصاد الكتابة لدى مؤلف "الحقيقة الغائبة"و "حوار حول العلمانية"ا

الدافع الثاني: هو نقد نزعة اللانقد السائدة ازاء الأصولية الاسلامية عبر استرجاع تجليات النقد العنيف لمثقف واضح وجريء. بمعنى أن العودة الى ف فودة حاملة لنعرية نقدية لصورية المثقف الراهن الذي يقترب صمته ازاء مضاهر التطرف السياسي الديني، من حالة استقالة نهائية لارجعة فيها من تأدية وظيفته الأساسية ،صياغة رؤية نقدية للعالم الاجتماعي

الدافع الثالث:...ان العودة الى كتابات ف فودة ترجعنا أكثر الى طبيعة الهاجس السياسي القوي الموجه لعمل الجماعات الاسلامية وهو هاجس مغلف بحمل شعار"الدولة الدينية-أو الخلافة على منهج النبوة/الكاتب -وضرورة تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية و حدودها(نفس الكتاب الم>كور ص ٦ و ما بعدها)ا

ثلاث دوافع قد تكون مقنعة و يمكن اضافة دوافع أخرى. ان من يركب شعارات مثل: التطبيق الفوري للشريعة، أو الاسلام هو الحل، و الاسلام مصحف و سيف...الخ. و هو في قرارته يبغي الوصول الى الحكم، و يرمي الى امتلاك السلطة و مقعد السلطان. مقحما الشريعة السمحة و الاسلام الحنيف كوسيلة لتحقيق مآرب ذاتية ايديولوجية، مستخدما من أجل الوصول الى هدفه ارهاب العباد و التقتيل في البلاد و قراءة الواقع بعقل اسقاطي/ماضوي. ينبغي علينا مواجهته بفكر مضاد ، و مقارعته بسلاح مخالف ،انه سلاح العقل و المنطق، هذا الذي لانجد له في كتاباتهم سندا و لافي أطاريحم و رءاهم مرتكزا، سبيلنا الى ذلك الدعوة بالتي هي أحسن و مجادلتهم بالحجة و البرهان

ان نقد الفكر الديني المتطرف، و تقويم الرؤى الأصولية المنغلقة، و الدخول معها في حوار نقدي موضوعي. و اجمالا ان تأصيل ثقافة النقد و نشر القيم الاسلام السمحة " الديموقراطية-الاخاء- المحبة- الاختلاف -العلم- العقل...|مستلهمين في ذلك نموذج ف فودة و هو ليس نموذجا يتيما. بل هناك نماذج أخرى تبتدأ برواد التنوير: "الطهطاوي و محمد عبده و قاسم أمين.مرورا بطه حسين و العقاد و احمد أمين. وصولا الى العروي و الجابري و أركون و علي حرب...و أخرون غيرهم لايسع المقام لذكرهم. هو السبيل الوحيد للقضاء على التزمت و الارهاب و الانغلاق الذي هو غمامة صيف لابد انها الى اقشاع و نتيجة للتبعية و التخلف و هي حتما

الى زوال. انها تمثل في جوهرها ضواهر تجاهلناها فتعاضمت و تناسيناها فاستفحلت."اليس معظم النار من مستصغر الشرر"-كما تقول العرب-

كانت اذن محاولتنا هذه تروم تبرير الدعوى للعودة الى فكر ف فودة ، و من وراءه العودة الى تراثنا العربي الاسلامي العقلاني وقراءته قراءة نقدية عصرانية ،وذلك من أجل تقعيده واعادة تأسيسه خدمة لقاضايانا و اشكالياتنا المعاصرة

أخذت قضية العلمانية في الخطاب العربي-الحديث منه و المعاصر- نصيبا وافرا من النقاش. وتمثلت عند فرج فودة كعصب أساس، لرؤاه و منطلقاته الفكرية.حتى أضحت لفترة من الزمن موسومة به و أضحي هومرتبطا بها.فلقب ب"العلماني الشهير" لشدة ايمانه بها كخلاص و كمدخل للدولة المدنية الحديثة.

الحقيقــة الغائبــة لـ " فرج فودة "

عرض: محمود بادلي

مقدمة لا بد منها:
ربما يسأل سائل، لماذا يستعرض هذا الكتاب في هذه المرحلة بالذات، وقد مرّ على نشره سبعة عشر عاماً وأكثر؟ والجواب عليه سهل وممتع للغاية، ذلك يعود إلى أسباب كثيرة أهمها:

١- إن هذا الكتاب الذي بين أيدينا "الحقيقة الغائبة" للدكتور فرج فودة، له أهمية علمية عظيمة، من النواحي التاريخية والسياسية والفكرية، فهو عبارة عن رؤية فكرية جديدة وتحليلية مستحدثة للوقائع والأحداث تستند إلى حقائق التاريخ موثقة ومؤصلة.

٢- إنه كتاب علمي ذات فكر تحليلي وتنويري في آن واحد، أشتغل عليه الكاتب بكل صدق وجدية، وبجرأة وشجاعة لا متناهية في تحليله للوقائع وتقديم الرؤى في سبيل إيصال تلك الحقيقة التي كانت غائبة - لا بل كانت حاضرة ولكن كان هناك (جماعات إسلامية الذين لا يرون ولا يسمعون غير أنفسهم وربما لا يرون أنفسهم أيضاً) يعملون جاهداً ليس فقط على تغييبها بل تشفيرها وتشويهها - إلى الأجيال الحاضرة والجيل الذي سوف يأتي في الغد، ومن لا يعرف هذه الحقيقة، لكي يتعرف عليها، ومن أجل فتح باب طالما بقي منغلقاً على نفسه، وعلينا لسنوات طويلة وهو باب الحقائق التاريخية، هذا الباب الذي ما زال الكثير من الإسلاميين المتطرفين التكفيريين،المتشددين والسلفيين، والإرهابيين القديم والجديد منهم، يحاولون جاهداً منع الحديث عنه، أو عدم فتح ملفاته، وعدم التطرق إليه لا من بعيد ولا من قريب، فهو باب محرم على المفكرين والمتنورين والاقتراب منه أو تناوله بيد التحليل والإجتهاد المستنير، ومن يسهم في ذلك عليه أن يحسب حسابه ويحسم أمره، فانه معرض للتهديد والوعيد، مهدد بالنار والجهنم، مهدد بالقتل والذبح في أغلب الأحيان، ومن الواجب علينا أن نذكر القارئ بأن مؤلف هذا الكتاب الدكتور فرج فودة، أستشهد قتيلاً على أيدي هؤلاء التكفيريين والمفسدين، لا لشيء فقط لأنه أراد قول الحق، لأنه أراد وضع النقاط على الحروف، لأنه دعا إلى الإجتهاد العقلاني المستنير، لأنه دعا إلى التفكير لا التكفير، دعا إلى الحوار وإحياء العقل واستعمال أداة تم تجاهلها على مدى قرون بعيدة وهي المنطق، لأنه دعا إلى الديمقراطية والعدل والمساواة، لأنه دعا العودة إلى جوهر الإسلام وروحه الحقيقي، والأخذ بمضونه وجوهره لا بقشوره.

ويجب أن نذكر القارئ أيضاً بأنه تم منع الدكتور حامد أبو زيد من الكتابة، وهو ما صرح بنفسه، بأنه لم يعد يتناول الكتابات المثيرة للجدل والتفكير، نتيجة المضايقة والتهديد من قبل هؤلاء التكفيريين.

٣- إنه قراءة جديدة من أجل استنارة العقول حاضراً ومستقبلاً، خاصة وأننا نعيش في القرن الواحد والعشرين، وما زال الكثير من المسلمين ومنهم الجيل الناشئ لم يتعرفوا بعد على تلك الحقيقة الساطعة في ثنايا هذا الكتاب، قراءة جديدة للخلافة في العصور الثلاثة: الراشدين، الأمويين، العباسيين، والتي تم نقلها لهم وفي الكثير من جوانبها، نقلاً مشوهاً ومنقوصاً عبر المناهج المدرسية والإعلام والمنابر المختلفة بكافة أشكالها، إنه كتاب فكر ورؤية وتصحيح ما تم تشويهه باسم الإسلام والعقيدة والأحاديث الوضعية، من قبل تلك الجماعات التكفيرية، والذي أصبح يتسع قاعدتها يوماً بعد يوم، ليس في العالم الإسلامي وحده بل في كل بقاع العالم، حتى أصبحت الإرهاب مشكلة عالمية، إرهاب الناس المسالمين وفزعهم وقتلهم وذبحهم على مرأى العالمين، ونشر أفعالهم الشاذة على التلفاز والإنترنت والصحف، دون ذنب وبلا شفقة ولا رحمة، فما الفائدة التي يجنيها هؤلاء على الإسلام والمسلمين، من قطع الرؤوس وذبح الناس وإعدامهم، وتفجير السيارات، وقتل الكورد على الهوية، وقتل من كائن يكون مسلم أو غير مسلم، باسم الدين والعقيدة والإيمان، أ إلى هذا الحد يخلو الدين الإسلامي من الإنسانية والتسامح والعدل؟!.

إن الإسلام ليس هكذا يا إخوان، فالإسلام وكما يقول الدكتور فرج فودة، أنه دين حق وسماحة، دين حوار وشورى وعدل ومساواة، دين يرفض العنف والقسوة، دين الرحمة والغفران، دين عدم التفرقة ونبذ التعصب، دين يحمل في طياته الكثير من القيم والمبادئ الإنسانية النبيلة.

إن ما يجري اليوم في العراق وفي افغانستان والسعودية ومصر والعالم كله إنما هو جنون ومرض عقلي وتخلف وجهل بقواعد الدين الصحيح وجوهر الإسلام الحنيف.

وفيما يلي عرض الكتاب متوخين منها إفادة القارئ وإشعال الرغبة في داخله لكي يقرأها دون تأجيل أو تردد:

يتحدث د.فرج فودة، شهيد الكلمة الحرة وقول الحق، في بداية فصل الحقيقة الغائبة، متوجهاً بحديثه إلى القارئ، حيث يقول: هذا حديث قصدت فيه أن أكون واضحاً كل الوضوح، صريحاً كل الصراحة، زاعماً أن الوضوح والصراحة في الموضوع الذي أناقشه استثناء، فقد صبت في المجرى روافد كثيرة، منها رافد الخوف، ومنها رافد المزايدة، ومنها رافد التحسب لكل احتمال، وخلف ذلك كله يلوح سد كبير، يتمثل في الحكمة التي يطلقها المصريون، والتي تدعو إلى (سد) كل باب يأتيك منه الريح، فما بالك إذا اتاك إعصار التكفير، وارتطمت بأذنك اتهامات أهونها أنك مشكك، وأسئلة أيسرها – هل يصدر هذا من مسلم؟ –، وواجهتك قلوب عليها أقفالها، وعقول استراحت لاجتهاد السلف، ووجدت أن الرمي بالحجارة أهون من إعمال العقل بالبحث، وأن القذف بالإتهام أيسر من إجهاد الذهن بالإجتهاد..

هذا حديث دنيا وإن بدا لك في ظاهره حديث دين، وأمر سياسة وحكم وإن صوّره لك على أنه أمر عقيدة وإيمان، وحديث شعارات تنطلي على البسطاء، ويصدقها الأنقياء، ويعتنقها الأتقياء، ويتبعون في سبيلها من يدّعون الورع (وهم الأذكياء)، ومن يعلنون بلا مواربة أنهم أمراء، ويستهدفون الحكم لا الآخرة، والسلطة لا الجنة، والدنيا لا الدين، ويتعسفون في تفسير كلام الله عن غرض في النفوس، ويتأولون الأحاديث على هواهم لمرض في قلوبهم، ويهيمون في كل واد، إن كان تكفيراً فأهلاً، وإن كان تدميراً فسهلاً، ولا يثنيهم عن سعيهم لمناصب السلطة ومقعد السلطان، أن يخوضوا في دماء إخوانهم في الدين، أو أن يكون معبرهم فوق أشلاء صادقي الإيمان.

في هذا الحديث يريد الكاتب أن يقول للقارئ بأنه يخوض في موضوع قريب إلى ذهنه، ويشير في ذلك إلى الانتخابات السياسية والنقابية في مصر، حين ارتفعت وما تزال ترتفع،رايات مضمونها (يا دولة الإسلام عودي، الإسلام هو الحل، إسلامية إسلامية)،- ونحن جميعاً شاهدنا وسمعنا مثل هذه الشعارات في الآونة الأخيرة عندما جرت الانتخابات النيابية في مصر-،وهي رايات لا تدري أهي دين أم سياسة،حيث أن مصدّريها ينطلقون من أن الإسلام دين ودولة، مصحف وسيف، والدين والسياسة في نظرهم وجهان لعملة واحدة،وهنا يضعنا الكاتب أمام وجهتي نظر، كل منهما

العالم الإسلامي كله، واحتفائهم بالأعياد الدينية، بل وتحول شهر رمضان إلى عيد ديني قومي لا يمكن تبرير الشغف به، والاحتفاء بحلوله.... وانتهاء بما ساهمت به مصر في مجال العقيدة والإجتهاد، بدءاً بالليث بن سعد، وفقه الشافعي في مصر، وانتهاء بالأزهر الشريف ودوره كمنارة للفكر الإسلامي.

ثانياً: إن تطبيق الشريعة الإسلامية ليس هدفاً في حد ذاته، بل إنه وسيلة لغاية لا ينكرها أحد من دعاة التطبيق وأقصد بها إقامة الدولة الإسلامية...

وهنا ينتقل النقاش إلى ساحة جديدة، هي ساحته الحقيقية، وهي ساحة السياسة، وهنا يطفو على سطح النقاش سؤال بسيط وبديهي، ومضمونه أنهم ما داموا قد رفعوا شعار الدولة الإسلامية وانتشر أنصارهم بين الأحزاب السياسية يدعون لدولة دينية يحكمها الإسلام، فلماذا لا يقدمون إلينا – نحن الرعية – برنامجاً سياسياً للحكم، يتعرضون فيه لقضايا نظام الحكم وأسلوبه، سياسته واقتصاده، مشاكله بدءاً من التعليم وانتهاء بالإسكان، وحلول هذه المشاكل من منظور إسلامي.

ويبدو أن تقديم مثل هذا البرنامج السياسي للحكم يشمل حلولاً لكافة القضايا والمعضلات الاقتصادية والتعليمية والاجتماعية والحقوقية..الخ،صعباً ما زال يعانون منه دعاة تطبيق الشريعة الإسلامية، والسبب كما يوضحه لنا الكاتب، يعود إلى عقم الإجتهاد، وعجز القدرة.

وهناك عشرات الأمثلة على صدق حقيقة فيما يطرحه الكاتب ومنها ما يتعلق بقوانين الأحوال الشخصية وفي ضمنها قضية حقوق المرأة وحقها في العمل وأزمة الإسكان القائمة من حكم الشقة المستأجرة أو (التمليك) وهي كلها أمور أوقعت العلماء في حيص(وهي الاختلاف بينهم)، وفي بيص (وهو الخلاف بينهم من ناحية وبين قطاعات كبيرة في المجتمع من ناحية أخرى)، وفي الأحوال الثلاث أي القوانين الثلاثة، وجد العلماء ضالتهم من الانتقال من مالك إلى أبي حنيفة، فإن لم يجدوا انتقلوا إلى فتاوى فقهاء أقل حظاً من الشهرة من أمثال سهل بن معاوية، وهم في كل الأحوال لم يتجاوزا القرن الثاني الهجري قيد أنملة، أو إن شئنا الدقة قيد عام.

ماذا سيكون الحال إذا تطرق الأمر إلى مجال الاقتصاد، وشغل دعاة الدولة الإسلامية أنفسهم بقضية الإنتاج في المجتمع، وفوجئوا بحجم استثمارات القطاع العام التي تتراوح بين ثلاثين إلى خمسين مليار جنيه، يعتمد تمويلها على مدخرات المصريين في بنوك القطاع العام، والمدخرات في صورة ودائع، والودائع تستحق فوائد، وآخر اجتهادات القرن الثاني الهجري، والتي لم تعاصر قطاعاً عاماً أو بنوكاً أدخلت العائد الثابت للمدخرات في دائرة الربا، وآخر ما وصل إليه الداعون للدولة الإسلامية هو الركون إلى اجتهادات هؤلاء الفقهاء، وكأنها تنزيل من التنزيل، ماذا سيكون الحال؟..

ثم يتطرق الكاتب إلى الأمور التي تتعلق بالحاكم وأسلوب اختياره، ويستطرد قائلاً: لنبدأ بالحاكم، وبديهي أن أول ما سيتبادر إلى ذهنك هو الشروط التي يجب أن تتوافر فيه، وقد تتصور أن الشروط سهلة، وأنها يمكن أن تتمثل في كونه مسلماً عاقلاً رشيداً إلى آخر هذه الأوصاف العامة، لكنك تصطدم بشرط غريب، تذكره كثير من كتب الفقه، وهو أن يكون (قرشياً)، وقد تتعجب من أن ينادى البعض بهذا الشرط باسم الإسلام، الذي يتساوى الناس أمامه (كأسنان المشط)، والذي لا يعطى فضلاً لعربي على عجمي إلا بالتقوى، وقد يتبادر إلى ذهنك خاطر غريب، وإن كان صحيحاً، يتمثل في أن هذا الشرط قد وضع لكي يبرر حكم الخلفاء الأمويين أو العباسيين، وكلهم قرشي، بل قد يتداعى إلى ذهنك ما قرأته في كتب التاريخ القريب عن الملك فاروق في أول عهده، حين قدمه محترفو السياسة إلى المصريين في صورة الملك الصالح، وظهر في الصورة بلحيته ومسبحته ونصف إغفاءة من عينيه، وتسارع بعض رجال الدين (الطموحين) إلى المناداة به ملكاً (وإماماً) للمسلمين،واجتهاد الأذكياء منهم في إثبات نسبه للرسول، وتبارى الإعلام في الإعلان عن هذا النسب وتأكيده. (منوهاً الكاتب قائلاً على الرغم مما هو ثابت من أن جده لوالده هو محمد علي باشا الكبير (الألباني) وجده لوالدته هو سليمان باشا (الفرنساوي)).

[ولكن لزاماً علينا أن ننوه أيضاً بأنه هناك خطأ شائع في نسب واصل محمد علي باشا، وترجيح هذا النسب إلى الأصل الألباني، ولكن الأصح وللحقيقة التاريخية نؤكد بان محمد علي باشا هو من أصل كردي، لكنه إبان الحكم العثماني جاء إلى مصر قائداً للحملة على رأس جنود ألبانيين، وبما أنه كان قائداً للحملة فسر على أنه الباني].

ثم يستطرد الكاتب في حديثه إلى القارئ، لعلك مثلي تماماً لا تستريح لهذا الشرط الذي يصنف المسلمين إلى أصحاب دم أزرق وهم القرشيون الحكام، وأصحاب دم أحمر ينتظم الأغلبية، لكنهم يواجهونك بحديث نبوي مضمونه أن الإمامة من قريش، وتتبادر إلى ذهنك في الحال عشرات الأحاديث التي وضعها الوضاعون، والتي وصولوا فيها إلى تسمية الخلفاء العباسيين وتحديد موعد خلافتهم بالسنة واليوم، وهي كلها أحاديث وضعها من لا دين لهم إلا هوى الحكام، ولا ضمير لهم ولا عقيدة، لكنك في نفس الوقت تخشى من اتهامك بالعداء للسنة، خاصة من الذين قصروا دراستهم للأحاديث النبوية على أساس السند وليس على أساس المتن (أي المعنى والمضمون ومدى توافقه مع النص القرآني)، ولا تجد مهرباً إلا بتداعيات اجتماع سقيفة بني ساعدة في المدينة، والذي اجتمع فيه لانتخاب سعد بن عبادة، وسارع أبو بكر وعمر وأبو عبيدة الجراح إليهم ورشحوا أبا بكر، ودار حوار طويل بين الطرفين، انتهى بمبايعة أبي بكر، وأنت في استعراضك للحوار، لا تجد ذكراً للحديث النبوي السابق، وهو إن كان حديثاً صحيحاً لما جرؤ سعد بن عبادة سيد الخزرج على ترشيح نفسه.. ويكفي أن تعلم أن سعد بن عبادة ظل رافضاً لبيعة أبي بكر إلى أن مات، ولم يجد من يأخذ بيده إلى هذا الحديث فيبايع عن رضى وهو الصحابي الجليل ذو المواقف غير المنكورة في الإسلام....

ثم ينتقل الكاتب في حديثه إلى الخلاف والشقاق الذي جرى في اجتماع السقيفة، لما رفض علي قبول تولية أبي بكر ومبايعته على إختلاف في الرواية بين رفضه المبايعة أياماً في أضعف الروايات، وشهوراً حتى موت فاطمة في أغلبها، بل أن أسلوب السقيفة لو كان هو الأصح، لاتبعه أبو بكر نفسه وترك تولية من يليه إلى المسلمين أو أهل الحل والعقد منهم، وهو ما لم يفعل حين أوصى لعمر بكتاب مغلق بايع عليه المسلمون قبيل وفاته دون أن يعلموا ما فيه، وهو أيضاً ما خالفه عمر في قصر الإختيار بين الستة المعروفين، وهم علي وعثمان وطلحة والزبير وابن عوف وسعد، وهو ما اختلف عن أسلوب اختيار علي ببيعة بعض الأمصار، ومعاوية بحد السيف، ويزيد بالوراثة.

أنت هنا أمام ستة أساليب مختلفة لاختيار الحاكم، يرفض المتزمتون تجاوزها، ويختلفون في تفضيل أحدهما على الآخر، وواقع النظم الإسلامية المعاصرة في عالمنا الحديث دليل دامغ على ذلك، فهناك بيعة أهل الحق والعقد (المختارون) في السعودية مع قصر الترشيح على أفراد الأسرة المالكة، وهناك المبايعة على كتاب مغلق يكتبه الحاكم ويوصي فيه لمن يليه، اشتقاقاً من أسلوب اختيار أبي بكر لعمر، في السودان في عهد النميري، وهناك ولاية الفقيه في إيران، وهناك اعتبار الموافقة في الاستفتاء على الشريعة الإسلامية موافقة ضمنية على الحاكم واختياراً له في الباكستان، وهناك في كل الأحوال مانع جديد يضاف إلى ما سبق، وهو أن مدة تولية الحاكم في كل الأحوال السابقة مستمرة مدى حياته، ولا عبرة في ذلك بأن البيعة على أساس الالتزام بكتاب الله وسنه ورسوله، وأن الحاكم يعزل إذا خالف ذلك، فما أكثر ما خالف، دون أن يعزل أو حتى يعترض عليه قديماً كان أو حديثاً.....

ثالثاً: يثبت الكاتب بأن صلاح المجتمع أو حل مشاكله ليس رهناً بالحاكم المسلم الصالح، وليس أيضاً رهناً بتمسك المسلمين جميعاً بالعقيدة وصدقهم فيها وفهمهم لها، وليس أيضاً رهناً بتطبيق الشريعة الإسلامية نصاً وروحاً، بل هو رهن بأمور أخرى كما يوضحه لنا مستنداً على المنطق كدليل، وعلى وقائع التاريخ، حيث يقول: وليس كالمنطق دليل، وليس كالتاريخ حجه، وحجة التاريخ لدىً مستقاة من أزهى عصور الإسلام عقيدة وإيماناً، وأقصد به عصر الخلفاء الراشدين.

يستطرد الكاتب في حديثه حيث يقول: أنت أمام ثلاثين عاماً هجرياً (بالتحديد تسعة وعشرون عاماً وخمسة أشهر) هي كل عمر الخلافة الراشدة، بدأت بخلافة أبي بكر (سنتين وثلاثة أشهر وثمانية أيام) ثم خلافة عمر (عشر سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوماً) ثم خلافة علي (أربع سنين وسبعة أشهر).

أن صلاح المجتمع أو حل مشاكله ليس رهناً بالحاكم المسلم الصالح، وليس أيضاً رهناً بتمسك المسلمين جميعاً بالعقيدة وصدقهم فيها وفهمهم لها، وليس أيضاً رهناً بتطبيق الشريعة الإسلامية نصاً وروحاً، بل هو رهن بأمور أخرى كما يوضحه لنا مستنداً على المنطق كدليل، وعلى وقائع التاريخ

وحسب الكاتب أنه في العهدين المذكورين كانت هموم الحرب ومشاغلها أكبر بكثير من هموم الدولة وإرساء قواعدها، حيث أن خلافة أبي بكر قد انصرفت إلى الحرب بين جيشه وبين المرتدين في الجزيرة العربية، وكذلك خلافة علي خلال الأربعة أعوام والسبعة أشهر قد انصرفت إلى الحرب بين جيشه في ناحية وجيوش الخارجين عليه والرافضين لحكمه في ناحية أخرى، بدءاً من عائشة وطلحة والزبير في موقعة الجمل، وانتهاء بجيش معاوية في معركة صفين ومروراً بعشرات الحروب مع الخوارج عليه من جيشه.

أما بالنسبة لعهد عمر وعهد عثمان، حيث يقول الكاتب انه يمكن أن تتعرف فيهما على الإسلام الدولة في أزهى عصور الإسلام إسلاماً، وأحد العهدين عشر سنين ونصف (عهد عمر)، والثاني حوالي اثني عشر عاماً (عهد عثمان)، فعمر وعثمان من أقرب الصحابة إلى قلب الرسول وفهمه، والاثنان مبشران بالجنة، وللأول منهما وهو عمر مواقف مشهودة في نصرة الإسلام وإعلاء شأنه، وهي مواقف لاتشهد بها كتب التاريخ فقط، بل يشهد بها القرآن نفسه، وللثاني منهما وهو عثمان مواقف إيمان وخير وجود، ويكفيه فخراً أنه زوج ابنتي الرسول، أما عن المحكومين، فهم من صحابة الرسول وأهله وعشيرته... وهم في قراءتهم للقرآن يعلمون متى نزلت الآية، وأين، ولماذا إن كان هناك سبب للتنزيل، فهم يعيشون في ظل النبوة ويتاسون بالرسول عن قرب وحب، ولا يبقى إلا الشريعة الإسلامية وهي ما لا يشك أحد في تطبيقها في كل من العهدين، بل إنك لا تتزيد إن أعلنت أن هذا العهد أو ذاك، كان أزهى عصور تطبيقها، ومع ذلك فقد كان عهد عمر شيئاً وعهد عثمان شيئاً آخر، فقد ارتفع عمر بنفسه وبالمسلمين إلى أصول العقيدة وجوهرها، فسعد المسلمون به، وصلح حال الدولة على يديه، وترك لمن يليه منهجاً لا يختلف أحد حوله، ولا نتمثل صلاح الحكم وهيبة الحاكم إلا إذا استشهدنا به، بينما قاد عثمان المسلمين إلى الاختلاف عليه، ودفع أهل الحل والعقد إلى الإجماع على الخلاص منه، إما عزلاً في رأي أهل الحجى، أو قتلاً في رأي أهل الضراب، واهتزت هيبته في نظر الرعية، إلى الحد الذي دفع البعض إلى خطف السيف من يده وكسره نصفين، أو حصبه على المنبر، أو التصغير من شأنه بمناداته (يانعثل) نسبة إلى مسيحي من أهل المدينة كان يسمى نعثلا وكان عظيم اللحية كعثمان، أو الاعتراض عليه من كبار الصحابة بما يفهم منه دون لبس أو غموض أنه خارج على القرآن والسنة، ووصل الأمر إلى الدعوة الصريحة لقتله، حيث يروي عن عائشة قولها: اقتلوا نعثلا لعن الله نعثلا.

وعلى الرغم من أن عمر وعثمان قد ماتا مقتولين، إلا أن عمر قد قتل على يد غلام من أصل مجوسي، وترك قتله غصة في نفوس المسلمين، وأثار في نفوسهم جميعاً الروع والهلع لفقد عظيم الأمة، ورجلها الذي لا يعوض، بينما على العكس من ذلك تماماً، ما حدث لعثمان عند مقتله، فقد قتل على يد المسلمين الثائرين المحاصرين لمنزله وبإجماع منهم، وكتب التاريخ تحدثنا برواية غريبة فيما يتعلق بدفنه، فالطبري يذكر في كتابه تاريخ الأمم والملوك (لبث عثمان بعدما قتل ليلتين لا يستطيعون دفنه ثم حمله أربعة " حكيم ابن حزام وجبير بن مطعم ونيار بن مكرم وأبو جهم بن حذيفة" فلما وضع ليصلي عليه جاء نفر من الأنصار يمنعوهم الصلاة عليه ومنعوهم أن يدفن بالبقيع،

◄

فدفنوه في حش كوكب (مقابر اليهود)،وفي رواية ثانية (أقبل عمير بن ضابئ وعثمان موضوع على باب فنزا عليه فكسر ضلعاً من أضلاعه)، وفي رواية ثالثة أنهم دفنوه في حش كوكب حين رماه المسلمين بالحجارة فاحتمى حاملوه بجدار دفنوه بجواره فوقع دفنه في حش كوكب.

وفي هذا يقول الكاتب، أي غضب هذا الذي يلاحق الحاكم حتى وهو جسد مسجى، وينتقم منه وهو جثة هامدة، ولا يراعي تاريخه في السبق في الإسلام والذود عنه، ولا عمره الذي بلغ السادسة والثمانين، ويتجاهل كونه مبشراً بالجنة وزوجاً لبنتي الرسول، ويرفض حتى مبدأ الصلاة عليه أو دفنه في مقابر المسلمين شأنه شان أفقرهم أو أعصاهم.

وهنا مجموعة من النتائج التي توصل إليها الكاتب، وكما يقول سوف نستعرضها كلها عسى أن تحل معضلة التفسير وان تجيب على السؤال الحائر وموجزه لفظ لماذا؟

النتيجة الأولى:

إن العدل لا يتحقق بصلاح الحاكم، ولا يسود بصلاح الرعية، ولا يتأتى بتطبيق الشريعة، وانما يتحقق بوجود ما يمكن أن نسميه (نظام حكم)، وأقصد به الضوابط التي تحاسب الحاكم إن أخطأ، وتمنعه إن تجاوز، وتعزله إن خرج على صالح الجماعة أو أساء لمصالحها، وقد تكون هذه الضوابط داخلية، تنبع من ضمير الحاكم ووجدانه، كما حدث في عهد عمر وهذا نادر الحدوث، لكن ذلك ليس قاعدة ولا يجوز الركون إليه، والأصح أن تكون مقننة ومنظمة، لها قاعدة ونظام رقابة.

فعهد عثمان اثبت بأنه لا قاعدة ولا نظام رقابة، بقي متمسكاً بالحكم رافضاً الاعتزال عندما طلب منه، فقد أجابهم بقوله الشهير والله لا أنزع ثوباً سربلنيه الله (أي ألبسنيه الله).

وبهذا فقد أعلن عثمان أن نظام الحكم الإسلامي (من وجهة نظره) يستند إلى القواعد الآتية:

- خلافة مؤبدة.
- لا مراجعة للحاكم ولا حساب أو عقاب أن اخطأ.
- لا يجوز للرعية أن تنزع البيعة منه أو تعزله، ومجرد مبايعتها له مرة واحدة، تعتبر مبايعة أبدية لا يجوز لأصحابها سحبها وإن رجعوا عنها أو طلبوا المبايع بالاعتزال.

ولأن أحداً لا يقر ولا يتصور أن تكون هذه هي مبادئ الحكم في الإسلام، قتله المسلمون، لكن السؤال يظل حائراً، ومضمونه، هل هناك قاعدة بديلة؟ أو نظام حكم واضح المعالم في الإسلام؟ هل هناك قاعدة في القرآن والسنة تحدد كيف يبايع المسلمون حاكمهم، وتضع ميقاتاً لتجديد البيعة، وتحدد أسلوباً لعزل الحاكم بواسطة الرعية، وتثبت للرعية حقها في سحب البيعة كما تثبت لها حقها في إعلانها، وتعطي المحكومين الحق في حساب الحاكم وعقابه على أخطائه، وتنظم ممارستهم لهذا الحق؟

النتيجة الثانية:

إن تطبيق الشريعة الإسلامية وحده ليس هو جوهر الإسلام، فقد طبقت وحدث ما حدث، وأخطر من تطبيقها بكثير وضع قواعد الحكم العادل المتسق مع روح الإسلام...

ولعل ما حدث في السودان خير دليل على مغبة البدء بالوجه العقابي للإسلام، وهو ما حدث حين أعلن الحاكم عن تطبيق الشريعة الإسلامية وبدأ في إقامة الحدود في مجتمع مهدد بالمجاعة، الأمر الذي ترتب عليه أن أصبح أنصار تطبيق الشريعة الإسلامية بعد تلك التجربة أقل بكثير من أنصارها قبل التطبيق، فالبدء يكون بالأصل وليس بالفرع، وبالجوهر وليس بالمظهر، وبالعدل قبل العقاب، وبالأمن قبل القصاص، وبالأمان قبل الخوف، وبالشبع قبل القطع.

يجب أن نفرق بين الهروب والمواجهة، وبين النكوص والإقدام، وبين المظهرية والجوهر، فالمجتمع لن يتغير والمسلمون لن يتقدموا بمجرد إطالة اللحية وحلق الشارب.. واللحاق بركب التقدم العلمي لن يحدث بمجرد استخدام السواك بديلاً عن فرشاة الأسنان... أو إضاعة الوقت في الخلاف حول طريقة دخول المرحاض وهل تكون بالقدم اليمنى أم اليسرى

النتيجة الثالثة:

إنك إن انتقلت من عهد عثمان إلى عهدنا الحاضر، لا تجد شيئاً اختلف أو استجد سواء بالنسبة لحل مشاكل المجتمع، أو بالنسبة لمواجهة السلطة إن انحرفت، من خلال منظور إسلامي..

وذلك بحاجة إلى برنامج سياسي متكامل، ينتظم مفردات المجتمع بما فيها الشريعة في منظومة لا تتناقض مع الإسلام ولا تتصادم مع متغيرات الواقع، برنامج سياسي يقدم الحلول الكفيلة للمشكلات، مثال ذلك الأجور والأسعار والإسكان... ولكن يبدو ذلك صعباً ومستحيلاً إذا تطلب الأمر، لأن الاعتماد على اجتهادات القرن الثاني الهجري يعقد المشاكل بشكل اكبر بدلاً من حلها.

النتيجة الرابعة:

إننا يجب أن نفرق بين الهروب والمواجهة، وبين النكوص والإقدام، وبين المظهرية والجوهر، فالمجتمع لن يتغير والمسلمون لن يتقدموا بمجرد إطالة اللحية وحلق الشارب.. واللحاق بركب التقدم العلمي لن يحدث بمجرد استخدام السواك بديلاً عن فرشاة الأسنان...أو إضاعة الوقت في الخلاف حول طريقة دخول المرحاض وهل تكون بالقدم اليمنى أم اليسرى، .. فكل هذه قشور، والغريب أنها تشغل أذهان الشباب وبعض الدعاة بأكثر مما يشغلهم جوهر الدين وحقيقته.. بل دعوة القادة الطامحين إلى إحياء الإسلام، بترك العلوم الوضعية أو الأعمال العلمانية والتفرغ للعبادة.

فيستطرد الكاتب قائلاً: هل هذا هو وجه الإسلام الحقيقي، وهل هذا هو ما سنواجه به القرن الحادي والعشرين، وهل هؤلاء الذين يسيئون قيادة أنفسهم وأتباعهم هم الصالحون لقيادة المجتمع، وهل أقبل منهم أو تقبل منهم دعوتهم للدولة الدينية وهم لا يتمسكون من الدين إلا بالقشور، ولا يعرفون من العقيدة إلا مظهرها الذي لا أصل له في كتاب الله، ولا سند له إلا التأسي بالرسول في مسايرته لعصر غير عصرنا، ولمجتمع يختلف جملة وتفصيلاً عن المجتمع الذي نعيشه، وليتهم تأسوا به وهو يدعو للرحمة، ويستنكر قتل المسلم للمسلم، ويدعو لطلب العلم ولو في الصين، ويستنكر اعتزال العمل للعبادة، ويعدل في قسمته بين الدين والدنيا، ويعلن حكمته الخالدة للأجيال التالية له، ومضمونها أنهم أعلم بشئون دنياهم.

هؤلاء قوم كرهوا المجتمع فحق للمجتمع أن يبادلهم كرهاً بكره، ولفظوه فحق له أن يلفظهم، وأدانوه بالجاهلية فحق له أن يدينهم بالتعصب وانغلاق الذهن، وخرجوا عليه فحق له أن يعاملهم بما اختاره لأنفسهم، معاملة الخارجين على الشرعية والقانون، ووضعوا أنفسهم في موضع الأوصياء على الجميع، وهم أولى الناس بأن يعاملوا معاملة المحجور عليهم، وهم من قبل ومن بعد، أساءوا للإسلام ذاته حين ادعوا عليه ما ليس فيه، وأظهروا منه ما ينفر القلوب، وأعلنوا باسمه ما يسيء إليه، وأدنوه بالتعصب وهو دين السماحة، واتهموه بالجمود وهو دين التطور، ووصموه بالانغلاق وهو دين التفتح على العلم والعالم، وعكسوا من أمراضهم النفسية عليه ما يرفضه كدين، وما نرفضه كمسلمين.

رابعاً: إن الداعين إلى التطبيق الفوري للشريعة الإسلامية، يضمرون عداء لا حد له للديمقراطية، إما عن قصد نتيجة عدم إيمانهم بها، وإما عن حسن نية من الكثيرين الذين يدفعهم حماسهم للشريعة إلى المطالبة بإقرارها بعرضها على مجلس الشعب، دون أن تناقش على نطاق شعبي واسع، مع تلويحهم بسيف الخروج عن الدين لأعضاء المجلس، إن هم رفضوا أو تأنوا أو ترددوا، ويتجاوز البعض فيحاولون القفز فوق المجلس، متوجهين مباشرة إلى رئيس الجمهورية، ومطالبين له بوضعها – هكذا – موضع التنفيذ الفوري الناجز.

ثم يقول الكاتب أن عداءهم للديمقراطية، واعتراضهم على الكثير من نصوص الدستور، ورفضهم الاعتراف بشرعية جميع الاستفتاءات التي حدثت،وعجزهم عن القدرة في وضع برنامج سياسي كامل، وعدم اللجوء إلى الاجتهاد العقلاني في حل مشاكل المجتمع، ليس إلا وهم وسراب ونوع من الهوى يريدون عبر دعواهم أن يتسلطوا، ويستبدوا، ويغلفوا العقل بغشاء الجهل والتخلف واجتهادات تجاوزها الزمن ولم يعد ملائماً لروح العصر.

فالإسلام كما يقول الكاتب، أعز من أن يهينوه بتصور المصادمة مع العصر، وأن الوطن أعز من أن يهدموا وحدته بدعاوى التعصب، وأن المستقبل يصنعه القلم لا السواك، والعمل لا الاعتزال، والعقل لا الدروشة، والمنطق لا الرصاص، والأهم من ذلك كله أن يدركوا حقيقة غائبة عنهم، وهي أنهم ليسوا وحدهم.. جماعة المسلمين.

الهامش:

د.فرج فودة، الحقيقة الغائبة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع – الطبعة الثالثة عشر ١٩٨٨م، القاهرة - باريس، تصميم الغلاف للفنان يوسف عبدلكي

فـرج فـودة والعلمانية وإشـكاليات الدولة الدينية

يلومون اني انفخ نار التراث... انا ارفض الخردوات من الفقهاء فثم تراث وثم فحيح....

مظفر النواب

عمار كاظم محمد

يركز دعاة التيار الديني في نقدهم للعلمانية على نقطتين اساسيتين هما: ان العلمانية بمفهومها ومصطلحها الفلسفي هي انها نتاج مستورد وفكرة اجنبية، مثلما يؤكدون في النقطة الثانية على كونها مطلبا للأقليات في البلدان المتعددة الاثنيات والديانات والطوائف وفي الحقيقة ان هاتين الخصلتين ليستا بمثلبة ولا نقصٍ في مفهومٍ العلمانية، اما كون العلمانية مفهوماً أجنبياً مستوردا فبالتأكيد هو نتاج صراع طويل عانت فيه أوروبا من تدخل رجال الدين في شكل الدولة وبروز الصراع الطائفي نتيجة لمطامح اولئك المتشددين وطمعهم في النفوذ والسلطة، كان من نتيجة ذلك ان يستغل الصراع الطائفي من اجل تلك الاهداف لكن حركة الاصلاح العلماني التي ازاحت رجال الدين المتصارعين على تلك المناصب ومنع تدخل الدين في شؤون السياسة قد اديا بالنتيجة الى اضمحلال ذلك العنف الطائفي وحل السلم الاهلي الذي نعمت به اوروبا بعد عدة قرون من القتل وسفك الدماء واهدار ارواح الناس وضياع قوتهم ووسائل عيشهم، ومن الطبيعي ان عملية البناء وتحسين الاوضاع الاقتصادية والمعيشية للمجتمع لاتتم الا بوجود الامن الكافي الذي يوفر للعمل والحركة الفرصة المناسبة.

أما كون الفكرة مستوردة فهي مستوردة ولكنها علاج ووصفة ناجعة نتيجة لتجربة مريرة خاضتها أوروبا وعانت من تدخل الدين في شؤون السياسة وهو علاج لم يكن من دون ثمن فقد ازهقت الملايين من الارواح نتيجة لذلك فهل علينا ان ندفع الثمن نفسه لكي يعتبر هذا العلاج نابعاً من صميم الواقع الذي نعيشه؟ ولا ادري لماذا تتملك البعض حساسية الخشية من كل ماهو قادم من الخارج فما هي اذن قيمة التلاقح والتواصل الحضاري واين هو دور العقل حينما لا يتم الاستفادة من تجارب الاخرين؟

ان هذا لايعني بالضرورة ان نأخذ التجربة بكل ابعادها ونستنسخها كما هي بقدر ما نستفيد من جوانبها الايجابية في ارساء اسس ودعائم السلم الاهليين وبالتأكيد ان تحقق السلم والامن يعقبها تحقق النمو والحركة الاقتصادية وتحسن الاوضاع المعيشية في الدولة والمجتمع.

النقطة الثانية التي تتمثل في كونها مطلبا للأقليات في الدول ذات الاثنيات والعرقيات المختلفة. ان هذا لايشكل قدحا في مفهوم العلمانية كفكرة فان طلب الاقليات بمعاملتهم على قدم المساواة مع غيرهم من ابناء الوطن ضمن الحقوق والواجبات القانونية التي يتضمنها الدستور العلماني يمثل طلبا مشروعا للجميع وليس فقط للأقليات حيث ان العلمانية بمفهومها الديمقراطي السياسي الذي يتركز في معاملة الجميع على اساس المواطنة والانتماء بغض النظر عن الدين والمذهب والطائفة يمثل حلا عقلانيا هاما في تحقيق العدالة بين الجميع بدون تمييز فهل كانت الدولة الدينية تمارس فعلا هذا التعامل مع الجميع على اساس الشراكة في المواطنة دون النظر الى الدين والطائفة والعرق؟.

ان حركة التاريخ الطويل لظهور الدولة الدينية والذي زاد لدينا لو اعتبرنا الدولة الاسلامية دولة دينية بالمعنى الثيوقراطي منذ عام ٤١ للهجرة وحتى سقوط بغداد عام

٥٥٦ هجرية هي بالتأكيد ليست بالفترة القصيرة وقد امتلأت شواهد وكتب التاريخ عبر الحقبتين الاموية والعباسية بالاضطهاد الواضح للأقليات والعرقيات غير العربية ناهيك عن غير المسلمين من الديانات، هذا اذا كان المقياس للدولة الدينية هو دولة الخلافة الاسلامية بشقيها الاموي والعباسي والذي يمثل بالنسبة للكثير من الاسلاميين اليوتوبيا التي يهربون فيها من مواجهة حقيقة الواقع المهزوم الذي تعيشه المجتمعات العربية وتخلفها الحضاري قياسا بما وصلت اليه الامم الاخرى.

وحقيقة القول اننا لو استعرضنا ما في كتب التاريخ من فضائع لاحتاج هذا البحث الى مساحة واسعة جدا يضيق المقام عن ذكرها وسأكتفي بايراد مثالين واضحين على ذلك هما اولا اجماع كتب التاريخ على ان الدولة الاموية كانت دولة تتعصب للجنس العربي وتعامل الاخرين من الداخلين في الاسلام من غير العرب باحتقار وازدراء وابسط مثال على ذلك هو التفريق في العطاء بين من يسمونهم الموالي وهو ما يقصد به غير العرب والعرب انفسهم ولا نريد ان نذكر ما وصلت اليه هذه التقسيمات الى تفريق بين المسلمين انفسهم الى مهاجرين وانصار وقرشيين وغير قرشيين من قبائل أخرى لأنه سيكون محل نقاش لنقطة أخرى سنأتي على ذكرها لاحقا.

المثال الثاني هو المرسوم الذي اصدره المتوكل العباسي كما ذكره السيوطي في كتاب تاريخ الخلفاء واورده ابن الاثير في الجزء العاشر من كتابه البداية والنهاية واقتبس هنا مانصه التالي: " امر المتوكل في السنة الثالثة من خلافته اهل الذمة ان يتميزوا عن المسلمين في لباسهم وعمائمهم وان يتطيلسوا بالمصبوغ بالقلى على ان تكون عمائمهم ذات رقاع مختلفة اللون ثيابهم من خلفهم ومن بين ايديهم وان يلزموا بالزنانير الخاصرة لثيابهم كزنانير الفلاحين اليوم وان يحملوا في رقابهم كرات خشب كبيرة وان لايركبوا خيلا وان لايستعملوا في شيء من الدواوين التي يكون لهم فيها حكم على مسلم، وامر بتخريب كنائسهم المحدثة وتضييق منازلهم المتسعة وان يعمل مما كان متسعا من منازلهم مسجدا وامر بتسوية قبورهم بالارض وكتب بذلك الى سائر الاقاليم والافاق والى كل بلد ورستاق " والتساؤل الذي يتبادر الى الذهن ترى لو ان دول العالم الاوربي والامريكي قامت بهذا الاجراء ضد المسلمين الذين يعيشون في بلدانهم الان فما هو رد الفعل على ذلك الا تخرج مظاهرات صاخبة وهتافات وزعيق وشعارات فارغة تستذكر الحروب الصليبية والعداء للعرب والاسلام... الخ فلماذا نستنكر ذلك ولا نستنكر ما كانت الدولة الدينية تفعله من تمييز ومن غزوات تعتبر فيها نساء الدول التي تخضع للفتوحات سبايا واموالهم غنائم وقتلهم جهاداً في سبيل الله كما يدعون؟.

وقد يقال ان الاسلام كدين لم يأمر بهذا وان الدين غير الرجال وهذا صحيح من الناحية النظرية باعتبار تعاليم الدين هي غير السياسة الاموية والعباسية لكن خمسمئة عام من الحكم التي يعتبرها البعض على انها الفترة الذهبية التي ساد فيها العرب على غيرهم من الامم هي تلك الفترتين وهي الخلافة الاسلامية للدولة كما تذكرها كتب التاريخ وكما يعرف بها لدى الشرق والغرب، وحقيقة الامر ان العدالة التي ينشدها الاسلام في المجتمع هي غير العدالة التي تحققت في واقع الدولة الاسلامية كتاريخ مكتوب، ماعدا دولة الرسول والخلفاء الراشدين، اي ان هناك فرقا شاسعا بين الدولة التي ينشدها الاسلام وبين الدولة الاسلامية الواقعية كما ظهرت في كتب التاريخ او بمعنى آخر هو وجود هوة كبيرة بين النظرية والتطبيق وقد لعبت السياسة والنزاعات والخصومات دورا كبيرا في قلب الموازين حسب اهواء الفئات التي حكمت وتوجهاتها آنذاك.

هناك احتجاج أخير طالما تشدق به اصحاب النزعات والتشدد الديني هو تلك العبارة المجوجة التي تتكرر في كل حين وهي ان العلمانية بطبيعتها هي "حكم بغير ما انزل الله" فهل كانت الدولة الدينية على مقاييس الدولة الاموية والعباسية حكما بما انزل الله؟ ولننظر في بعض الشواهد على ذلك ماذكره كتاب العقد الفريد المجلد الرابع وتاريخ الخلفاء للسيوطي، انه لما ولي عبد الملك بن مروان الخلافة خطب في الناس قائلا: " اما بعد فلست بالخليفة المستضعف ولا الخليفة المداهن ولا الخليفة المأمون الا اني اداوي ادواء هذه الامة بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم، الا ان الجامعة التي جعلتها في عنق عمرو بن سعيد عندي، والله لايفعل احد فعله الا جعلتها في عنقه. والله لا يامرني احد بتقوى الله بعد مقامي هذا الا ضربت عنقه...ثم نزل " الشاهد الثاني قول الحجاج " والله لا آمر احدا ان يخرج من باب من ابواب المسجد فيخرج من الباب الذي يليه الا ضربت عنقه " الشاهد الثالث المنصور العباسي ويحدد المنصور في إحدى خطبه برنامجه السياسي بوضوح لا لبس فيه:».أخذ بقائم سيفه فقال: أيها الناس إن بكم داء هذا دواؤه، وأنا زعيم لكم بشفائه فليعتبر عبد قبل أن يعتبر به!) الشاهد الرابع هارون الرشيد عندما أفضت الخلافة إلى الرشيد وقعت في نفسه جارية من جواري المهدي فراودها عن نفسها فقالت لا أصلح لك، إن أباك قد طاف بي لكنه شغف بها فأرسل إلى أبي يوسف قاضيه الشهير والذي لقب (بفقيه الأرض وقاضيها! -)

فسأله الرشيد: أعندك في هذا شيء؟! وجاءه الجواب:(اهتك حرمة أبيك واقض شهوته وصيره في رقبتي. هذه بعض من الشواهد التي وجدتها في دراسة الدكتور امام عبد الفتاح امام المعنونة "الطاغية" سلسلة عالم المعرفة وبالتأكيد فان الباحث في كتب التاريخ سيجد مئات بل الاف الشواهد على امثال هذه الحالات من الخروج على حكم الله وعلى الشرع والدين والعقل مما نأنف عن ذكره في هذا المجال ثم ان التساؤل عن هذه العبارة الغامضة من وجهة النظر المنطقية يفرض علينا القول عما يعنيه المتحدث بحكم الله وهو سؤال يجب ان يستكمل وهو حكم الله من وجهة نظر من؟ ان الانقسامات الطائفية والدينية قد خلقت اسلامات متعددة في داخل الاسلام فما يعتبره البعض حكم الله لايراه البعض الآخر كذلك وهكذا سنظل في دوامة لانهاية لها من التساؤلات عن ماهية الدولة الدينية في ظل الاشكالية المنبثقة من تعدد وجوه الدين بوجود الطوائف والمذاهب وصراعاتها التي لا تنتهي.

ان حل العلمانية بتوأمها الديمقراطي هو بالتأكيد افضل الحلول المتاحة لحل تلك الاشكاليات الدينية ويتمثل هذا مستعيرا بعض ماورد في كتاب الراحل فرج فودة " حوار حول العلمانية "في اسس الدولة العلمانية التي تنص على ما يلي اولا ان حق المواطنة هو الاساس في الانتماء بمعنى اننا جميعا عراقيون سواء كنا مسلمين من طوائف متعددة ام غير مسلمين، ثانيا ان الاساس في الحكم هو الدستور الذي يساوي بين الجميع ويكفل حرية العقيدة دون قيود، ثالثا ان المصلحة العامة والخاصة هي اساس التشريع، رابعا ان نظام الحكم مدني يستمد شرعيته من الدستور والانتخابات ويسعى لتحقيق العدالة من خلال القانون والالتزام بميثاق حقوق الانسان بمضمونه الحضاري العام، واعتقد ان هذا الشكل هو ما نسعى اليه جميعا بعيدا عن المحاصصات والصراعات متطلعين لرؤية غد مشرق في عراق يتعايش فيه الجميع بمحبة وسلام.

فـــى ذكـــــرى "فـــــــودة"..

مثقفـون: لا نتمنـى عـودة عمليـات التصفية الجسدية

حالة مـن الجدل مازالت مستمـرة حتى يومنا هذا، بـين التيارات الدينيـة المتشددة، وبين مؤيـدى وتلامـذة المثقف الحـر الدكتور فرج فـوده، الـذى راح ضحية الجهـل باسم الدين وإصـدار فتـاوى التكفيـر على كل مـن يعارض فكر هـذه التيـارات الإسلاميـة المتشددة، وبالرغـم من قيام ثورة مجيدة، نادت بالحرية فـى الفكر والإبداع والتعبير عن الرأى، إلا أن عددًا ممن يمثلون أغلبية عددية فى البرلمان لهذه التيارات الدينية لا يزالون يتعاملون مع غيرهم على أنهم "الأسياد" ودونهم عليه السمع والطاعة، وهو الأمر الذى جعل البعض يفكر كثيرًا، ويخشى أن تتكرر حادثة اغتيال "فودة"، وربما تحاول هذه الأغلبية العددية تقنين محاربتها ومطاردتها لمن ترى أنهم أعداء الإسلام، "اليوم السابع" استطلعت رأى عدد مـن المثقفين حـول هذه الإشكاليـة، ونحن نمر بذكرى رحيـل "فودة" العشريـن، فتباينت آراؤهم حولها.

قـال الشـاعر والمترجـم رفعـت سـلاَّم إنـه فـى البدايـة لابـد وأن نعـترف كمثقفين أن "فوده" هو شـهيدنا جميعًـا، والذى ربما استدان بنفسـه حـين كان يطالـب بالدولة المدنيـة فلـم تمهلـه الجماعـات الإسـلامية لينشـر فكـره، الذى نحـن أحـوج إليها من التسـعينيات، وعلى الجماعات الإسـلامية بما فيها الإخوان المسـلمون والسلفيون أن يعتذروا جميعاً عن هـذه الجريمة النكراء، التى ارتكبها فيصـل منهم يجلس بجوارهم الآن فى البرلمـان، ولا بد وأن نتذكر فى هذا السياق أن قتل فرج فوده جاء فى إثر فتوى بتكفيـره من الشـيخ الغزالى، الـذى يطلق عليه الإسـلاميون فقيه الاعتـدال، وبالتالى فدمـه معلـق فـى رقبة جميـع الإسـلاميين، بمن فيهم من راجعوا أنفسـهم فى السجون ولم يعتذروا للشـعب المصرى عن جرائمهم الدمويـة، ويحاولـون الآن بحكـم الأغلبية العدديـة فـى البرلمـان أن يصـدروا قانونًا للعفـو عن تلك الجرائـم، التى ارتكبوها فى الثمانينيات والتسعينيات.

وأوضـح أن الإسـلاميين بعـد أن خسـروا معركتهم المسـلحة مع الدولة يحاولون الآن التوصل إلى نفس الأهداف بطريقة أخرى، من خلال البرلمان، فبعد أن اكتشفوا عجزهم وخسائرهم الفادحة من المواجهة مع أجهزة الدولـة تراجعـوا خطوتـين فـى أسـلوب وليـس فى الهدف، ونحن لا نزال فى معركة معهـم تتعلـق بمحاولتهـم فرض سـطوتهم على المجتمع وأفكارهم الظلامية.

وتسـاءل: لا ندرى ماذا ستكون النتيجة إذا ما فشـلوا هذه المرة أيضًـا، هل سـيعودون إلى العمـل المسـلح أم مـاذا؟، وأنـا أميـل إلى أنهـم لـن يرتبكـوا تلك الحماقـات مرة أخـرى، لأن أحـدًا مـن المجتمـع لم يقف فى ذلـك الحين فـى صـفهم، فلن يعـودوا إليها، وسيكون الاعتماد الكبير على هذه الأغلبية الكبيرة المؤقتة فـى البرلمان، وتلك الطريقة الغوغائيـة فى الدعـوة، التـى يرهبون بها خلق الله بالجحيـم والنار فى مقابل النعيم الـذى يعدون بـه، وكأن فـى أيديهم مفاتيح الجنة والنار.

وقـال الناقـد الدكتـور صـلاح فضـل، رئيـس الجمعيـة المصـرية للنقـد الأدبـى، أعتقـد أن المجتمعـات تمـر بمراحـل مـن المراهقـة والشـباب والنضـج، وأظـن أن الجماعـات الدينيـة فـى ثورتهـا الأولى كانـت تتصـف بكثير مـن الرعونـة وإدعاء احتـكار الحقيقة وتتجرأ كثيـرًا على رفض الآخريـن وتكفيرهـم، وكان هـذا يغـرى الشـباب الجاهـل المتحمس بحكـم طبيعته واندفاعه الأيديولوجـى، وأن يأخذوا هذه التصـريحات الحماسية غير المتروية وغير المتفقهة فى الدين مأخذ الجد، فيصلون إلى درجة استخدام العنف، والتصفية الجسدية فـى بعض الأحيان مع المفكـر الحر الدكتور فـرج فودة، ولكـن لم تلبث هـذه الجماعات أن قامـت بعمليـات مراجعة شـاملة وأدرج زعماؤها ضـرورة العودة إلى روح الإسلام السمحة، وتشـريعاته الوسطية والكف عن الفتاوى الحمقاء، بالتكفير والإقصاء.

وتابـع، نضـجت كثير من هـذه الجماعات، وأتاح لهم سـقف الحرية العـالى بعد ثورة يناير أن يدخلـوا فـى العملية السياسـية، وظنـى أن أول شـروط العملية السياسـية هـو قبول التعـدد والاختلاف وعـدم تكفير الآخرين، واحترام حريـة الرأى والتعبير، وبالتـالى إذا لجأ أى فصـيل إلى اسـتخدام العنـف القـولى أو الفعلى فسـوف يقضـى على نفسـه بالفشل السياسـى، وسيصبح كارثـة على تاريخ مصـر والوطـن العربى، وعندما وضـع المثقفون بالتعـاون مع كبار علمـاء الدين فـى الأزهر الشـريف وثائقهم الثـلاث، الأولى التـى تشـرح نظـام الدولة المدنية فى الإسـلام وأسسها، المعتمدة على المواطنة وحقـوق الإنسـان، والثانية التى تعطـى للشـعوب العربية والإسـلامية حق الثورة للحاق بالدول الديمقراطية المتقدمة، والثالثـة الضامنة للحريـات الأساسـية الأربع، وهى حريـة العقيدة، وحرية الرأى والتعبـير، وحرية البحـث العلمى، وحرية الإبداع الأدبى والفنـى، عندما أعلن الأزهر هذه الوثائـق، وهو أكبر مرجعية دينية فى العالم الإسلامى، ألجم كل الفصائل بروحها وسـار حجـة عليهـا، وأملنـا كبير ألا يشـذ عن ذلك أى فصـيل يلجأ للعنـف لأن دائرته جهنميـة وعاقبتـه وخيمـة، وفى ظـل هذه المفاهيم لا سـبيل أمام هواة الفتوى ودعاة الفتنة إلا أن يصمتوا ويحترموا رأى الدين والعلم.

وقال الشـاعر محمود قرنى: بكل أسـف كنا نتصـور أن انتقال تيار الإسـلام السياسى من أدبيات العمل السـرى إلى الفضاء العام المحروس بالشرعية المجتمعية والسياسية سوف يؤثر على مواقفه ومرجعياته شديدة التخلـف والبدائية، غـير أن واقع الحال – كنت أكثر المؤيدين لمنح الفرصـة لهذا التيار ودمجه فى المجتمع – يؤكد أن هذه الأدبيات والمرجعيات لم تحتفظ من العمل السياسى إلا بانعـدام أخلاقياتـه وبانتهازيتـه، ولم تحتفـظ مـن المرجعيـة الفكريـة إلا بظلالها التكفيرية والإقصـائية، وأظن أن أداء هذه التيـارات فى الشـهور الماضيـة يعـزز هذا التصـور، وأظـن أن التركيبـة المجتمعيـة فى مصـر بـدأت تلفظ هـذه الأفـكار وهذه التيـارات، لأنها تناقض الطبيعة الوسـطية بنـت الثقافة النهرية لهذا الشـعب، ومسـار الأحداث يؤكد أن ثمة صـراعا حقيقيا يدور تحت السـطح بين التيـارات المدنية، وعلى رأسـها المجلـس الأعلـى للقوات المسـلحة، وبين تيارات الإسـلام السياسـى التى تجر الدولـة إلى أدبيـات القـرن الأول الهجرى، وأظن أن هذا الصراع سوف يحسم فى نهاية الأمر لصـالح التيار العام، الأكبر والأشمل، وهو التيار المدنـى، والدولة الوطنية، وفى هذه الحالة لا أسـتبعد عودة العمل المسـلح الـذى كانـت تمارسـه تلـك الجماعـات فـى فـترات مختلفة من تاريخهـا، وأعتقد أن ما يشاع ويصـاغ حول تسلح هذه الجماعات، وعلى رأسـها جماعة الإخوان المسلمين منذ قيـام ثورة الخامس والعشـرين مـن يناير المجيـدة، يعـزز هـذا التوجـه، وإذا تتبعنا تصـريحات الكثير من رموز تيار الإسـلام السياسى، سنجدها تنطوى على الكثير من التهديد والوعيد والويـل والثبور وعظائم الأمور إذا لم ينجح مرشحهم أو مشروعهم، هنـا أو هنـاك، مـا يعنـى أن أنهـار الدمـاء قادمـة طالما ظل هذا التيـار ينظر للمجتمع، باعتبـاره مجتمعاً كافـراً، وينظـر لأدبياته ومرجعياته باعتبارها فسادا فى فساد

. في السـياق ذاتـه دعـا عـدد مـن الأدبـاء والمثقفين إلى ضـرورة إطلاق جائزة باسـم الراحـل المفكر الكبـير الدكتور فـرج فودة، تخليـدًا لحـق المبـدع والمفكـر فـى التعبير عـن رأيـه، ونحن نمـر بالذكرى العشـرين لاغتياله، خاصـة فـى ظل صـعود التيارات الإسلامية، مطالبين منظمات المجتمع المدنى بالاهتمام بإطلاق مثل هذه الجوائز.

وقـال الكاتـب ا فـؤاد قنديـل إن الدعـوة لإطـلاق هـذه الجائزة ربما لا تجد حماسـة كافيـة مـن المؤسسـات الحكومية، خاصـة فـى ظـل ارتفـاع المـد الإسـلامى الممثل فى جماعة الإخوان المسـلمين والتيار السلفى، وأتصـور أن الجمعيـات المدنى قد تتحمس لها إيمانًا منها بدورها وبأهدافها.

وقال الشـاعر والناقد شـعبان يوسـف، إن الراحـل الكبـير فرج فـودة هو أحـد الذين راحوا ضـحية للتطرف، بشـكل كبير جدًا، وربما يعد هـو أكثر المتضـررينَ على مدار القـرن العشـرين هـو وأديب نوبـل وعميد الروايـة العربيـة نجيب محفـوظ، كما أنه يشـبه الدكتـورة نـوال السـعداوى فيمـا تعرضـت له أيضًا، مضـيفًا، برأيى أن هناك الكثـير ممن يجب أن يكون هناك لهم تكريم من خلال الجوائـز تخليدًا لهم مثل الدكتور نصـر حامد أبو زيد والدكتور طه حسـين، وأنـه مـن الممكـن أن تقـوم أحـد منظمـات المجتمـع المدنى بإطلاق جائـزة حول حرية الفكـر والتعبـير والـرأى وخاصـة فى ظل الظـروف التـى نشـهدها، مشـيرًا إلى أن مؤتمـر حريـة الفكر والإبـداع الذى ينظمه المجلس الأعلى للثقافة سوف يتحدث ضمن محاوره عن فرج فودة.

ومـن جانبه أيـد الدكتور عمـاد أبو غازى، وزيـر الثقافـة السـابق، الدعـوة لإطـلاق جائزة باسم المفكر فرج فوده، تهدف للدفاع عن حرية الفكر والتعبير والإبداع.

وقال الناقد الدكتور حسـين حمودة، أعتقد أن إطلاق جائزة خاصـة بحرية التعبير أمر هـام جدًا فى هذه الفترة التى نعيشـها وفى الفترة القادمة، خاصـة وأن هناك ملابسات وأسـبابًا عديدة أصـبحت تضـيق مساحة حريـة التعبـير التى يجب أن تكـون متاحةً للجميـع، وأتصـور أنـه مـن الأفضـل لهذه الجائزة ألا ترتبط باسـم شخصـية محددة لأنها فى هذه الحالة يمكن أن تكون موضعًا للاختـلاف، يكفـى أن تكون خاصـة بحرية التعبير بشكلٍ عام

عن موقع اليوم السابع

فـرج فودة.. شـمعة مضيئة وسط الظلام

أحمد عبد العزيز

لم يكن اغتيال فرج فودة محاولة للقضاء على رجل فحسب، بل محاولة لم تنجح في القضاء على فكر تنويري تجديدي وقف للعقول الظلامية بالمرصاد، وبادلهم الحجة بالحجة، وتحدث بالعقل والمنطق والسند، فكان السبيل نحو الخلاص منه هو اغتياله، للتصدي لأفكاره ورؤيته التي أثرت في أجيال وأجيال ولم تزل تؤثر إلى الآن.

دكتور فرج فودة كانت قضيته هي مصر، فتحدث بشجاعة عن الإرهاب والتطرف، ووقف بقوة في وجه الجماعات الإرهابية، وعكف على الكتابة لمواجهة الفكر بالفكر، فتحدث بحديث الحروف، فرد الظلاميون بحديث الكلاشينكوف.

لعبت كتب دكتور فرج فودة دوراً كبيراً في إثراء الفكر المصري في فترة الثمانينات وأوائل التسعينات، فكتب الحقيقة الغائبة، الإرهاب، النذير، زواج المتعة، نكون أو لا نكون، قبل السقوط، حوار حول العلمانية، وغيرها من المقالات والندوات واللقاءات التي تبنت أفكار الدولة المدنية، وتناولت الحديث عن حقوق الأقليات، والدعوة لوطن يحتوي جميع أبنائه.

كانت مواقف دكتور فرج فودة واضحة وقوية في التأكيد على مدنية الدولة، وانضم لحزب الوفد باعتباره الحزب المعبر عن الدولة المدنية، ولكنه انفصل عنه عام ١٩٨٤ حين تحالف الوفد مع الإخوان وأعلن أنه حزب إسلامي.

كانت مناظرة دكتور فرج فودة في يناير عام ١٩٩٢ بدار الكتاب مناظرة فريدة من نوعها، حيث واجه أفكار المتحدثين عن الدولة الدينية (الشيخ محمد الغزالي- المستشار محمد المأمون الهضيبي- الأستاذ الدكتور محمد عمارة) وتحدث عن مدنية الدولة، وعن تاريخ الحكم الإسلامي، وعن الخلفاء الراشدين، وطلب نموذجاً لدولة دينية متقدمة تتوافق مع العصر، كما تحدث أيضاً الدكتور محمد خلف الله مدافعاً عن الدولة المدنية.

تم اغتيالدكتور فرج فودة في القاهرة في الثامن من يونيو عام ١٩٩٢ حين كان يهم بالخروج من مكتبه بشارع أسماء فهمي بمدينة نصر -إحدى ضواحي القاهرة- بصحبة ابنه الأصغر وأحد أصدقاءه الساعة السادسة و ٤٥ دقيقة، علي يد أفراد من منظمة تستخدم العنف السياسي عرفت باسم الجماعة الإسلامية حيث قام شخصان بينهما مطلق الرصاص من بندقية آلية بقتله فيما كانا يركبان دراجة نارية، فيما أصيب ابنه أحمد وصديقه إصابات طفيفة. أصيب فرج فودة إصابات بالغة في الكبد والأمعاء، وظل بعدها الأطباء يحاولون طوال ست ساعات لإنقاذه إلي أن لفظ أنفاسه الأخيرة، ونجح سائق فرج فودة وأمين شرطة متواجد بالمكان في القبض علي الجناة.

تبين أن الجريمة جاءت بفتوي من شيوخ جماعة الجهاد علي رأسهم الشيخ عمر عبد الرحمن المسجون حالياً في الولايات المتحدة الأمريكية، لا يفوتنا هنا شهادة الشيخ محمد الغزالي أثناء محاكمة القاتل، ووصف فودة "بالمرتد"، وأنه (ويقصد فرج فودة) مرتد وجب قتله، وأفتى بجواز أن يقوم أفراد الأمة بإقامة الحدود عند تعطيلها، وهذا يعني أنه لا يجوز قتل من قتل فرج فودة حسب تعبيره، وهو موقف مخزي للشيخ الغزالي الذي قبل بمناظرته قبلها بستة أشهر، وأثناء المحاكمة سئل قاتل فرج فودة:

- لماذا اغتلت فرج فودة؟
- القاتل: لأنه كافر.
- ومن أي من كتبه عرفت أنه كافر؟
- القاتل: أنا لم أقرأ كتبه.
- كيف؟
- القاتل:أنا لا أقرأ ولا أكتب.

ما تحدث عنه دكتور فرج فودة بالأمس، وحذر منه كالاستقطاب الديني، والتكفير، والعنف، واضطهاد الأقليات هو ما نعاني منه الآن، فأصبح الاستقطاب الديني أمراً واقعاً، كما لا يزال مسلسل التكفير مستمراً في مواجهة الفكر والعقل والمنطق، وهو ما يؤدي بالفعل إلى الاضطهاد والعنف والإرهاب، كما حذر فودة من تقسيم السودان في كتابه قبل السقوط، وهو ما حدث بالفعل

manarat
WWW. almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

مدير التحرير
علي حسين

الاخراج الفني
خالد خضير

التدقيق اللغوي
محمد حنون

منارات

طبعت بمطابع مؤسسة المدى
للاعلام والثقافة والفنون

الذين يفكرون ثم يكتبون
أحترمهم...
والذين يكتبون ثم
يفكرون أعذرهم...
والذين يكتبون ولا
يفكرون أبداً...
أرد عليهم...
فرج فودة

إنكار العلمانية جهل بالحضارة الحديثة
وإطلاق صفة الكفر على العلمانية جهل بالعلمانية
والدعوة لدولة دينية جهل بحقوق الإنسان
والمناداة بالخلافة الإسلامية جهل بالتاريخ
شهيد الكلمة فرج فودة

إهـــداء

إلى زملاء ولدى الصغير أحمد ،
الذين رفضوا حضور عيد ميلاده ،
تصديقا لمقولة أبائهم عنى ...
إليهم حين يكبرون ، ويقرأون ،
ويدركون أننى دافعت عنهم وعن
مستقبلهم وأن ما فعلوه كان أقسى
علىّ من رصاص جيل أبائهم ..

مقـــدمة

لا ابالى ان كنت فى جانب والجميع فى جانب آخر ، ولا احزن ان ارتفعت أصواتهم أو لمعت سيوفهم ، ولا أجزع ان خذلنى من يؤمن بما اقول ، ولا افزع ان هاجمنى من يفزع لما اقول ، وانما يؤرقنى اشد الأرق ، ان لا تصل هذه الرسالة الى من قصدت ، فانا اخاطب اصحاب الرأى لا أرباب المصالح ، وأنصار المبدا لا محترفى المزايدة، وقصاد الحق لا طالبى السلطان ، وأنصار الحكمة لا محبى الحكم، وأتوجه الى المستقبل قبل الحاضر ، والتصق بوجدان مصر لا بأعصابها ، ولا ألزم برأيى صديقا يرتبط بى ، أو حزبا اشارك فى تأسيسه ، وحسبى ايمانى بما اكتب ، وبضرورة أن اكتب ما اكتب، وبخطر أن لا اكتب ما اكتب .. والله والوطن من وراء القصد .

لن يعيدهم إلى مكانهم إلا سيف الشرعية

السائرون خلفاً، الحاملون سيفاً، المتكبرون صلفاً، المتحدثون
خرفاً، القارئون حرفاً، التاركون حرفاً، المتسربلون بجلد
الشياه، الأسود إن غاب الرعاة، الساعون إن أزفت الآزفة
للنجاة، الهائمون في كل واد، المقتحمون في مواجهة
الارتداد، المنكسرون المرتكسون في ظل الاستعداد،
الخارجون على القوانين المرعية، لا يردعهم
إلا توعية الرعية، ولا يعيدهم إلى مكانهم
إلا سيف الشرعية، ولا يحمينا منهم إلا
حزم السلطة وسلطة الحزم، لا يغني
عن ذلك حوار أو كلام، وإلا فقل على
مصر السلام.

د. فرج فودة